www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « وصارا » كمنار الطريق

٢٩ شعبان ١٣٤٢ — ١٤ الحمل ١٣٠٣ هـ ش — ٤ مارس ١٩٢٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتاوى المنار

﴿ التبشير والمبشرون في نظر المسلمين ﴾

(س ٢ — ٨) من القس المحترم الفرد نيلسن الدانيمركي بدمشق

١ — هل يحسب المسلم كل تبشير مسيحي للمسلمين مفسد وغير لائق مهما كان منصفا و بعيدا عن الطعن

٢ — هل يحسب المسلم على حد سوى المسيحي الغيور في دينه والمريد نشره الغير والمسيحي الذي لا يعمل بدينه في حياته ولا لاجله عند غيره

٣ — أليس من واجبات كل متنور أن يعرف الكتاب المقدس الذي أسس عليه تمدن الغرب (قابل الحديث : اطلبوا العلم ولو في الصين)

٤ — ألا يستحق التبشير بالكتاب المقدس شكر كل انسان إما لانه يعرف الانسان فوائد لم يحصل عليها قبل أو لانه يجعل الانسان بعد التأمل بتدقيق يفضل كتابه الخاص

٥ — أليس عصرنا الحاضر في كل دين عصر الاجتهاد فيطالب من أصحاب الدين أن يتمسكوا به ليس لانهم هكذا وجدوا آباءهم لكن لانهم تدققوا فوجدوا الدين نافعا لانفسهم وللهيئة الاجتماعية أكثر من أي شيء في الدنيا

٦ — من هو أحسن؟ الذي يتمسك بدين من الاديان بعد الاقتناع و يطبق حياته عليه أم الذي يبقى في دين آبائه بدون اعتقاد داخلي و بدون أن يطبق حياته على أعلى مبادىء الدين وأشرفها

﴿ الجواب ﴾

عبارة هذه الاسئلة ضعيفة لضعف عربية صاحبها ونجيب عن الاول والثاني جوابا واحدا لاشتراكهما في المعنى فنقول : إن المسلم يميز بقدر ما أوتي من العقل والعلم بين التبشير النزيه الخالي من الطعن والتبشير البذيء المبني عليه ، ويميز بين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسيحي الغيور في دينه العامل به وبين من اتخذه تجارة كأكثر المبشرين الذين عرفناحالهم، ومن جعله سياسة كالذين رباهم هؤلاء المبشرون على التعصب وعداوة المخالف لدينهم من أبناء وطنهم فصار الدين جنسية سياسية لهم فهم لا يعملون بأوامره بالفضائل ولا بنواهيه عن الرزائل، وانما حظهم منه مقاومة المخالف، ولا يحتقر المسلم بطبيعة دينه شيئا من الاشياء كاحتقاره للنفاق وأهله. وأما كون كل تبشير يوجهه النصارى الى المسلمين مفسد أو غير لائق فهو ما أثبته الاختبار الى الآن وان لم يكن من الضروريات المنطقية في حد نفسه — وأعني بهذا الاختبار سيرة جماعات المبشرين العامة ولكن يوجد أفراد يدعون الى دينهم باظهار مافيه من الفضائل والدفاع عما يرد على عقائده وأصوله من الاعتراضات، بما أوتوه من معرفة، مع مراعاة النزاهة، واجتناب كل ما يؤذي المناظر، وقد عاشرت بعضهم في طرابلس الشام أيام طلبي للعلم وجرت بيني وبينهم مناظرات كثيرة في بضع سنين لم يشك أحد منا صاحبه في شيء بل كنا نحترمهم لآدابهم وعدم اتجارهم بدينهم، وان كانوا يأخذون الرواتب من بعض جمعيات التبشير.

ومن أضر أعمال المبشرين في مدارسهم حتى الاميركانية منها وهي أنزهها أنهم يشككون الطلاب المسلمين في دينهم ولا يقنعونهم بالنصرانية فيخرج الكثيرون منهم ملحدين أو منافقين، وكذا طلاب النصارى وغيرهم، وهذا افساد عظيم لا يخفى على ذكاء السائل المحترم بل يوافق رأيه كما يؤخذ من سؤاليه ٥ و ٦ دع خدمة هذه المدارس ومثلها مستشفياتهم لمطامع السياسة الاستعمارية حتى قال لورد سالسبوري الوزير الانكليزي المشهور إن مدارس المبشرين أول خطوة من خطوات الاستعمار لان أول تأثيرها احداث الشقاق في الامة التي تنشأ فيها فينقسم بعضهم على بعض باختلاف الافكار والشك في الاعتقاد، أي فيتمكن الاجنبي من ضرب بعضهم ببعض، وينتهي ذلك بتمكين المستعمرين من نواصيهم وسلب استقلالهم واذلالهم وسلب ثروتهم

وأما الجواب عن السؤال الثالث ففيه تفصيل لا يتسع لبسطه باب الفتوى فنلخص الكلام فيه بأن مجموعة الاسفار التاريخية الدينية التي تسمى «الكتاب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المقدس» هي من الكتب التي ينبغي للمشتغلين بالتاريخ وبعلم الملل والنحل وأمثالهم أن يطلعوا عليها ولكن لا يجب على كل متنور أن يعرفها . ودعوى بناء مدن الغرب عليها ممنوعة على اطلاقها ، وباطلة بالصفة التي يدعيها المبشرون في هذه الايام لاستمالة المفتونين بالمدنية الاوربية الى النصرانية بها ، فقوانين الغرب أبعد شرائع الامم عن شريعة التوراة ، الا في القسوة على الضعفاء المغلوبين ، وآداب أهله أبعد من آداب جميع شعوب البشر عن آداب الانجيل من كل وجه ، فمدنية الامم الغربية مادية شهوانية قوامها الكبرياء والتعالي وعبادة المال والطمع والرياء والاسراف في الزينة والشهوات ، فأين هي من أصول آداب الانجيل المبنية على التواضع والزهد والايثار والصدق ونبذ الزينة واحتقار الشهوات ؟ ؟ ؟ وقد فصلنا ذلك مرارا كثيرة في المنار . وأما العلوم والفنون وشكل الحكومات المقيدة فلم تكن أثرا من آثار انتشار تلك المجموعة في بلاد الغرب بل كانت من آثار العرب والاسلام

إذ من المسلمات التي لا جدال فيها ان تأثير الدين في الامم يكون على أشده وأكمله في أول العهد بالاهتداء به وبعد أن يأخذ مده غاية حده من النماء يضعف بالتدريج ، وقد مكث الغرب عدة قرون بعد انتشار النصرانية فيه ولم يظهر فيه شيء من مبادىء هذه العلوم والفنون ، واستقلال الفكر والسلطة المقيدة ، بل كان هذا مما انتقل الى أوربة من الاندلس العربية الاسلامية ، ومما حمله غزاة الحروب الصليبية اليها من سورية ومصر الاسلاميتين . ولا يجهل القس الفاضل ما لاقى الدعاة الى ذلك في أوربة من اضطهاد حملة تلك المجموعة المقدسة وحمايتها من الظلم والاضطهاد في محاكم التفتيش وغيرها . ولو اقتبس الغرب من الشرق دين العرب كما اقتبس علمهم وحكمتهم لجمعت مدنيته بين الكمال في الدين والدنيا ولم تكن مادية محضة كما هي الآن

وأما الجواب عن السؤال الرابع : فهو أن التبشير بهذا الكتاب ليس نعمة على كل فرد من أفراد البشر حتى يجب شكره على كل فرد منهم ، وانما الشكر على النعم ، بل نقول انه كان نقمة ومصيبة على جميع أهل البلاد التي نعرفها بما أحدث من الشقاق والتعادي بين أهلها وفاقا لما قرره اللورد سالسبوري ، وان جميع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أهل العلم والبصيرة من أهل البلاد السورية التي يقيم فيها السائل يعلمون اليوم حق العلم أنه ما أفسد ذات بينهم وفرق كلمة طوائفهم وحرمهم نعمة الرابطة الوطنية التي تفتخر بها البلاد الغربية الا مدارس المبشرين ونزعاتهم وقد صرح بهذا أشهر كتابهم وخطبائهم وأهل الرأي فيهم من المسلمين والنصارى جميعا. ومن المتفق عليه بين هؤلاء العارفين بشؤون البلاد الدينية والاجتماعية أن التدين بالنصرانية كان أقوى وأصدق بين أهلها قبل هؤلاء المبشرين ، والتعصب الذميم كان أضعف ، وان كانوا لا ينكرون أن المعرفة بالديانة كانت أقل ، ولا نعرف لهم أثراً في تنصير أناس ارتقوا بتنصيرهم اياهم فصاروا خيراً مما عليه أهل دينهم فضيلة وآدابا وعبادة لله عز وجل، دع ما يعتقده المسلمون من بطلان كل عبادة مشوبة بالشرك

نعم ان هذه المدارس نفعت البلاد بما بثته فيها من العلوم والفنون العملية ولا سيما الطب والزراعة والتجارة ، وهذه نعم تشكر ولكنها ليست من التبشير في شيء وان الذين حذقوها في هذه المدارس أبعد عن تعاليم الكتاب المقدس في عقائده وأحكامه ممن لم يدخل فيها

وما علل السائل المحترم به وجوب هذا الشكر من كون هذا التبشير يعرف الانسان فوائد لم يحصل عليها من قبل أو يجعله بعد التأمل الدقيق يفضل كتابه الخاص — ففيه بحث ونظر من حيث كونه ليس من لوازم هذا التبشير الخاصة به فان كل ما يتعلمه الانسان يفيده ما لم يعلمه من قبل ، ويقل من يدرس هذا الكتاب بسبب التبشير وبدلالة المبشرين دراسة استقلال تهديه الى تفضيل كتابه عليه ، على أن كل مسلم عرف حقيقة الاسلام ثم درس هذا الكتاب يزداد به علما بتفضيل القرآن على جميع الكتب وكونه مهيمنا عليها وحكمه هو الحكم الفصل فيها، وهؤلاء قليلون وأنا منهم ، وهذا الكتاب الجامع لما عندهم منها من جملة الكتب التي أضعها بجانبي دائما لكثرة مراجعتي لها

وأما الجواب عن السؤال الخامس : فنقول فيه ان القرآن أوجب الاجتهاد والاستقلال في فهم الدين والاستدلال الذي ينتج اليقين في كل زمن وكل عصر، وإن الحاجة الى هذه الهداية في هذا العصر أشد لانتشار التعليم الاستقلالي وحرية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفكر فيه ، فصار التقليد فيه أضر مما كان في العصور التي قبله ، وآيات القرآن في ذم التقليد واتباع الآباء والاجداد صريحة لا تحتمل التأويل ، ولكنها لم تمنع أدعياء العلم الدجالين من تحريم الاجتهاد وذم الاستقلال ، ولو لا رواج دعوة هؤلاء الدجالين واغترار كثير من العوام لهم لكان المسلمون على أحسن حال ، ولما صاروا حجة على الاسلام ينفرون الناس عنه بجهلهم وصدودهم عنه لستر جهلهم حتى صاروا يحرمون العلم بالدين نفسه وهو المسمى عندهم بالاجتهاد الذي أوجبه الله ويوجبون الجهل وهو التقليد الذي حرمه الله تعالى .

وأما الجواب عن السؤال السادس فنجيب عنه بما يصححه فنقول : إن المنتحل للدين لا يكون صادقا في انتسابه اليه الا اذا كان موقنا بصحته مذعنا لاحكامه اذعانا نفسيا عمليا بأداء عباداته وترك محارمه والتزام سائر أحكامه وآدابه الا ما يعرض للبشر عادة من بعض المخالفات التي يستغفرون الله منها ويتوبون اليه ، وأما مجرد اللقب الموروث فلا قيمة له ، والاعتقاد اليقيني هو المعبر عنه بالايمان ، والاذعان النفسي العملي هو المعبر عنه بالاسلام ، هذا اذا قوبل أحدهما بالآخر والا فالمؤمن والمسلم يصدقان على شيء واحد . وقد بينا هذه المسائل في مواضع كثيرة من المنار بالتفصيل والدلائل

ومن القواعد المقررة عند علماء العقائد الاسلامية أن دين الاسلام ليس فيه شيء يحكم العقل باستحالته ، وان المسلم لا يكلف أن يعتقد ما هو محال عقلا ، وانه ان وجد في الشريعة ما يعارض القطعي حسا أو عقلا وجب تأويله بما يجمع بين العقل والنقل ، لان الله تعالى يقول (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) والقاعدة عند غيرنا بخلاف ذلك وهي أنه يجب الايمان ولو بالمحال وان كان بديهيا كالجمع بين النقيضين أو الضدين المساويين للنقيضين كالتوحيد الحقيقي والتثليث الحقيقي أي كون الاله واحدا حقيقة وغير واحد حقيقة — فالمسلم الذي يتبع ما يوجبه عليه دينه من العلم الصحيح به والاخذ باليقين في عقائده لا يخشى أن تؤثر في نفسه دعوة دين آخر ، وقد بينا في الرد على دعاة النصرانية بمصر منذ بضع سنين أن المسلم لا يمكن أن يصير نصرانيا لان الاسلام نصرانية وزيادة كما قال السيد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جمال الدين الافغاني أو لان من وصل الى الكمال في أمر لا يختار أن يستبدل به ما دونه — كما نقول نحن . وقد بين الله تعالى في كتابه المعجز للبشر من وجوه كثيرة أنه قد أكمل دينه الذي بعث به رسله على لسان خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين فقال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وهذا يوافق سنته تعالى في النشوء والارتقاء

على أن كتب من قبله من الرسل لم تحفظ كلها كما حفظ كتابه ، وسننهم وتواريخهم لم تحفظ كما حفظت سنته وتاريخه ، فهذا المسيح عليه السلام ليس في هذه الاناجيل الاربعة التي اعتمدتها الكنيسة من الاناجيل الكثيرة الا الشيء القليل من تاريخه ، وهي غير منقولة بالاسانيد المتصلة ، وقد وقع الخلاف في تواريخ كتابتها وفي اللغة التي كتبت بها وفي بعض أشخاص كاتبيها كما صرحوا به في تواريخ الكنيسة وفي معاجمهم العلمية الكبرى (دوائر المعارف)

ونحن انما نذكر هذه المسئلة هنا على سبيل الاستطراد وغرضنا منه أن المسلم العارف بدينه المتلقي له بالدلائل كما أمر لا يخاف أن يزداد بتبشير المبشرين الا ثباتا ويقينا فيه ، ولكن هؤلاء المبشرين يبثون دعوتهم في العوام الذين لا يعرفون من الاسلام الا بعض الاحكام التقليدية وفي التلاميذ المبتدئين في طلب العلوم والفنون ، وقد تمر السنين على هذا ولا يوجد واحد في الالف من هؤلاء الجاهلين بأكثر حقائق الاسلام من عوام وتلاميذ يتنصر ، ولكن يكون كثيرون منهم ملاحدة معطلة أو مشككة « لاأدريين » والسائل المحترم يرى أن هؤلاء شر من المتدين بأي دين من الاديان التي تنهى عن الشر وتأمر بالخير وهو مصيب في ذلك

وليعلم القس المحترم أن من أصول ديننا الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله (لانفرق بين أحد من رسله) وأنه تعالى بعث في جميع الامم القديمة رسلا هادين مرشدين الى توحيده وعبادته ، وفعل الخير وترك الشر ، وان أمر هدايتهم جرى على سنة الارتقاء بالتدرج لاختلاف استعداد البشر كما قلنا آنفا ، حتى اذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل ذلك الاستعداد ختم الله النبوة بمحمد عليه وعلى سائر اخوانه النبيين صلوات الله وسلامه ، وأن ما جاء به مكمل لما سبقوه به ، وان من معجزاته انه جاء بالخلاصة الصحيحة الفضلى لما كان عليه أشهر الرسل القريبي العهد به الذين حفظ من دينهم مالم يحفظ من تعاليم من قبلهم ، ولا سيما موسى وعيسى عليهما السلام ، على كونه أميا لم يطلع على شيء من الكتب مطلقاً قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله — أي القرآن — من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) فلا يسع عاقلا منصفاً عرف دينه أن يؤمن بغيره ولا يؤمن به . والذي نعهده من هؤلاء المبشرين انهم ينظرون في الاسلام بقصد العثور على شيء فيه قابل للطعن فيه ولو بالتمحل ، لا بقصد معرفة حقيقته ، ولا المقايسة بينه و بين غيره بالانصاف

ولقد كان من العجب عندي أن أرى هذا المبشر — السائل المحترم — يكتب بأسلوب واثق مما يرمي اليه كلامه ، وقلما عرفنا منهم من هو كذلك وانما تدل كتابة أشدهم مبالغة في التبشير وتفضيلا لما عندهم على ما عند غيرهم على أنهم يكتبون ما لا يعتقدون ، ويقولون الكذب وهم يعلمون ، ويحرفون الكلم عن مواضعه كما فعل سلفهم الاولون ، والله يعلم ما يسرون وما يعلنون . فهؤلاء لا يحترمون عندنا ، وأما من دعا الى دينه عن عقيدة هو مذعن لها ومخلص فيها فكل عاقل يحترمه ، وقليل ما هم

﴿ تسكين كلمات الاذان وجواب الاقامة وبدء السلام ورده ﴾

(س ٩ — ١٢) من الشيخ محمد عبد الظاهر برمل الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة أستاذنا العلامة السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) صدر من بعض السبكية انكار على من لم يجب المقيم ولم يصل على النبي (ص) عقب الاقامة كالاذان ولم يأتوا بدليل ، وقد رأينا فيه حديث أبي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمامة عند أبي داود ولكنه لم يصح اذ فيه راو مجهول

(٢) وأنكروا وصل المؤذن بين تكبيرتين من تكبيرات الاذان كما يفعل المؤذنون اليوم، ويقولون السنة الفصل بين كل تكبيرة وأخرى وإفرادها بالوقف على كل واحدة ولا يجوز قطعا تحريك آخر التكبيرة الاولى لوصلها بالثانية، ولم نعثر لهذا على دليل صريح.

(٣) وقالوا : لا سلام على الجالسين في درس علم فان العلم أولى وأفرض فعارضناهم بأن الامر عام والتخصيص لا دليل عليه وقد سلموا على الرسول (ص) وهو في الصلاة فرد بالاشارة

(٤) وقالوا لا كلام على الوضوء وزعموا أن رجلا سلم على النبي (ص) وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى أتم الوضوء ولم نعلم صحة هذا الحديث ولم يعلموا هم أيضا

فهل عند سيدنا الاستاذ شيء ثابت في السنة على هذا كله ؟ نرجو افادتنا به لاجل العمل به ولكم الاجر والثواب على هداية السائل وارشاد الحيران والسلام

اجابة الاقامة كالاذان

(ج) لم يفتجر تلاميذ الاستاذ الشيخ محمود خطاب السبكي شيئا من هذه المسائل أي لم يأتوا بها من عند أنفسهم بل نقلوها عن الفقهاء ، فأما استحباب اجابة المؤذن في الاقامة كالاذان فقد استدلوا عليه بحديث أبي أمامة ولم يروا ضعفه مانعا من العمل به في مسألة من فضائل الاعمال على قاعدتهم المعروفة . ولو قالوا إن سماع النداء في الاحاديث الصحاح الواردة في ذلك يشمل الاقامة لانها نداء كالاذان لم يكن بعيداً وفي الحديث المتفق عليه « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » رواه الجماعة من حديث عبد الله بن مغفل واتفق العلماء على أن المراد بالاذانين فيه الاذان والاقامة ، وكون هذا من باب التغليب لا ينافي ماقلناه من عدم البعد والا كان نصا في المسألة

تسكين كلمات الاذان

وأما الجواب عن الثاني فهو أن المسألة أصلا من وجهين (أحدهما) ما نقل عن السلف في ذلك ففي كتابي المغني والشرح الكبير للمقنع من كتب الحنابلة (التي تتحرى نقل أقوال الصحابة والتابعين وعلماء الامصار المجتهدين وأدلتها)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أن عبد الله بن بطة قال إنه في الاذان والاقامة لا يصل الكلام بعضه ببعض مهربا بل جزما ، وحكاه ابن الاعرابي عن أهل اللغة . وروي عن ابراهيم النخعي أنه قال : شيئان مجزومان كانوا لا يمربونهما : الاذان والاقامة . قال صاحب المغني وصاحب الشرح الكبير : وهذا اشارة الى جماعتهم . أي الصحابة فان ابراهيم من أشهر علماء التابعين اه وهذا حجة لهم

(والثاني) — وهو معارض لهم — ان حديث عمر بن الخطاب (رض) في اجابة المؤذن يدل على الوقوف عند كل كلمة (أي جملة) من كلمات الاذان الا التكبير فانه يقف عند كل تكبيرتين فقد قال (ص) «اذا قال المؤذن: الله اكبر الله اكبر ، فقال أحدكم الله اكبر الله اكبر، ثم قال أشهد أن لا اله الا الله — قال — أشهد أن لا اله الا الله الخ ففيه أنه جعل الوقف على تكبيرتين في أول الاذان وآخره ، بخلاف سائر الجمل المكررة مثنى مثنى فقد وقف على كل واحدة منها ورتب الجواب عليها — ومن المعلوم أن الوقوف في لغة العرب يكون بالسكون والوصل بالتحريك — فظاهر الحديث يوافق ما عليه المؤذنون اليوم في أمصار الاسلام من الجمع بين كل تكبيرتين ، وهو يقتضي أن تحرك كلمة اكبر بالرفع في الاولى على القاعدة العامة في هذه اللغة وهو التحريك في أثناء الكلام. ولكن بعض المؤذنين يصلون أكثر كلمات الاقامة فيقفون بعد التكبيرات الاربع والشهادتين كلتيهما والحيعلتين كلتيهما — لانهم يحدرون في الاقامة فلا يمدون كلماتها الممدودة ولا يمدونها ، وكذا يرتلونها كالاذان وهو المنقول فهؤلاء ينبغي الانكار عليهم وكذا من يصل التكبيرتين الاوليين بالاخريين فيقف عند الرابعة

السلام على المشتغل بالعلم

وأما الجواب عن الثالث وهو عدم السلام على الجالسين في دروس العلم فلا نص فيه عن الشارع ولكنه منقول عن بعض الفقهاء وله نظائر كقاريء القرآن بالتدبر والملبي في الحج قالوا لا يسلم عليهما لئلا يشغلهما عما هما فيه ، وقالوا إنه اذا سلم عليهما وجب عليهما الرد . فأمر الرد أعظم من البدء فقد قالوا إن الاجماع قد انعقد على أن ابتداء السلام سنة وان رده فرض وهو ظاهر آية (واذا حييتم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ولا يترك الواجب الا بدليل قوي فمن ترك السلام على المشتغل بالعلم والعبادة لظنه أنه يتأذى بصرفه به عما شغل ذهنه وقلبه فله وجه فان السلام للتحاب والتواد فاذا كان في حالة تنافي ذلك تركه ولا يعد تاركا للسنة المستفادة من عموم الامر بافشاء السلام لانه معارض في مثل هذه الصورة بما هو ثابت ومقطوع به من تحريم الايذاء ومنع الضرر والضرار المحقق وكراهة ما كان مظنة له — وقد صرح بعضهم بأن السلام غير المشروع لا يستحق جوابا وترى تتمة بحثه في الجواب الآتي وهو:

الكلام على الوضوء والسلام على المتوضيء

وأما الجواب عن الرابع فهو ان الحديث الذي ذكروه هو مارواه ابن جرير عن البراء بن عازب أنه سلم على النبي (ص) وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من الوضوء مد يده اليه وصافحه ، ونذكر بهذه المناسبة مايتعلق بمحظورات السلام وأوسعها ما جمعه في هذا الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في شرح كتابه (غذاء الالباب لشرح منظومة الآداب) في التنبيهات المتعلقة بالسلام قال : يكره السلام على جماعة منهم المتوضيء ومن في الحمام ومن يأكل أو يقاتل وعلى تال وذاكر ومليّ ومحدث وخطيب وواعظ وعلى مستمع لهم ومقرر فقه ومدرس وباحث في علم ومؤذن ومقيم ومن على حاجته ومتمتع بأهله أو مشتغل بالقضاء ونحوهم فمن سلم في حالة لا يستحب فيها السلام لم يستحق جوابا وقد نظمهم الخلوتي وزاد عليهم جماعة فقال :

رد السلام واجب الا على ... من في الصلاة أو يأكل شغلا
أو شرب أو قراءة أو أدعيه ... أو ذكر أو في خطبة أو تلبيه
أو في قضاء حاجة الانسان ... أو في اقامة أو الاذان
أو سلم الطفل أو السكران ... أو شابة يخشى بها افتتان
أو فاسق أو ناعس أو نائم ... أو حالة الجماع أو تحاكم
أو كان في الحمام أو مجنونا ... فهي اثنتان قبلها عشرونا

ورد النص في بعض هذه والبقية بالقياس على المنصوص واذا انتفى الوجوب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بقي الاستحباب أو الاباحة ، نعم في مواضع يكره الرد أيضا كالذي على حاجته ولعل مثله من مع أهله . ويحرم أن يرد وهو في الصلاة لفظا وتبطل به ويكره اشارة قدمها في الرعاية . وقيل لا كراهة للعموم ولان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على من سلم عليه من أصحابه وهو في الصحيحين ولانه صلى الله عليه وسلم رد على ابن عمر اشارة وعلى صهيب كما روى الامام أحمد والترمذي وصححه . وان رد عليه بعد السلام فحسن لو روده في حديث ابن مسعود وان لقي طائفة فخص بعضهم بالسلام كره. وكره السلام على امرأة أجنبية غير عجوز وبرزة فان سلمت شابة على رجل رده عليها وان سلم لم ترد عليه . قال ابن الجوزى المرأة لا تسلم على الرجال أصلا وروى من الحلية عن الزهري عن عطاء الخراساني برفعه «ليس للنساء سلام ولا عليهن سلام» وكره الامام السلام على الشواب دون الكبيرة وقال شيخ الاسلام لا ينبغي أن يسلم على من لا يصلي ولا يجيب دعوته اه

ولنذكر ما اطلعنا عليه في كتب السنة مما يصلح دليلا لما أورده أيضا أو قياسا عليه أو معارضا له فنقول: روى أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم أن رجلا —هو المهاجر بن قنفذ— سلم على النبي (ص) وهو يبول فلم يرد عليه ثم قال له «اذا رأيتني على مثل هذه الحالة فلا تسلم علي فانك ان فعلت ذلك لم أرد عليك» وفي بعض الروايات أنه رد عليه بعد أن تمسح ، وفي أخرى بعد أن توضأ ، وتعليل عدم الرد بأنه كان على غير طهارة

وروى الشافعي في سننه والبيهقي في المعرفة والخطيب عن ابن عمر أن رجلا مر على رسول الله (ص) وهو يبول فسلم عليه فرد عليه وقال « انما حملني على الرد عليك مخافة أن تذهب الى قومك فتقول اني سلمت على النبي (ص) فلم يرد علي . فاذا رأيتني على هذه الحالة فلا تسلمن فانك ان سلمت لم أرد عليك» وروى ابن جرير عن أبي جهم أنه سلم على النبي (ص) وهو يبول فلم يرد عليه حتى فرغ ثم جاء الى حائط فتيمم ثم رد عليه السلام . وروي عن ابن عمر مثله مرفوعا فيمن سلم عليه وهو مقبل من الغائط .

وأما حديث « ليس للنساء سلام ولا عليهن سلام» الذي احتج به السفاريني

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقد أشار السيوطي في الجامع الصغير الى ضعفه وهو من مراسيل عطاء الخراساني وهو مدلس لا يحتج بمراسيله من يحتج بالمراسيل فكيف بمن لا يحتج بها كالجمهور ومنهم الشافعية وهو معارض لاحاديث صحيحة

عقد البخاري في صحيحه البخاري بابا في مشروعية «تسليم الرجال على النساء والنساء على الرجال» قال الحافظ ابن حجر في شرح ترجمة الباب من الفتح : أشار بهذه الترجمة الى رد ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن يحيى بن أبي كثير : بلغني أنه يكره أن يسلم الرجال على النساء والنساء على الرجال . وهو مقطوع أو معضل. والمراد بجوازه أن يكون عند أمن الفتنة . وذكر في الباب حديثين يؤخذ منهما الجواز . وورد فيه حديث ليس على شرطه وهو حديث أسماء بنت يزيد : مر علينا النبي (ص) في نسوة فسلم علينا حسنه الترمذي اه

ثم ذكر الحافظ حديث واثلة عند أبي نعيم في عمل اليوم والليلة مرفوعا «يسلم الرجال على النساء ولا يسلم النساء على الرجال» قال: وسنده واه، ومن حديث عمرو بن حريث مثله موقوفا وسنده جيد ، وثبت في مسلم من حديث أم هاني: أتيت النبي (ص) وهو يغتسل فسلمت عليه اه

أقول تسليم الرجال على النساء يوافق آداب الافرنج ومقلديهم في هذا الزمن . وأما حديثا الباب في البخاري فأحدهما حديث سهل بن سعد الساعدي (رض) أنه كان لهم عجوز تطبخ كل يوم جمعة أصول السلق بدقيق الشعير وكانوا اذا صلوا الجمعة ينصرفون فيسلمون عليها فتقدمه اليهم فيفرحون به . والثاني تبليغ النبي (ص) عائشة سلام جبريل فترد عليه السلام، وكان يجيء بصورة رجل وحديث أم هانئ حجة على من منع السلام على من في الحمم، وفي الصحيحين وغيرهما أن النبي (ص) كان يسلم على الصبيان وعقد البخاري له بابا الرد على من قال لا يشرع كالحسن البصري . وقيده الفقهاء بما قيدوا به السلام على المرأة التي يخشى الافتتان بها . وأما الفاسق فاحتج الجمهور في ترك السلام والرد عليه بمنع النبي (ص) الناس من الكلام عن المتخلفين في غزوة تبوك . . .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سكة الحديد الحجازية

(استولت السلطة الفرنسية في سورية على ما فيها من سكة الحديد الحجازية التي هي وقف اسلامي خاص بالبلاد المقدسة : استولت على ادارتها وأدواتها وأموالها ، وجعلتها تابعة لشركة الخط الحديدي الفرنسية بين الشام وحماه . وقد كتب الينا كاتب سوري من أعلم الناس بتاريخ هذه السكة المقالة الآتية في سبب انشائها وإثبات وقفيتها ، وبيان حالها واغتصاب السلطة الفرنسية لها . وهذا نصها)

ان الدولة العثمانية لما رأت ان المسلمين الساكنين في ممالكها والمتفرقين في أنحاء كرة الارض كمسلمي تونس والجزائر وفاس في الغرب ومسلمي الهند والافغان وايران والصين وسائر المشرق يأتون من كل فج عميق في كل سنة لاداء فريضة الحج وزيارة حرم الرسول المصطفى (ص) وقبره الشريفين ورأت ما يعانيه أولئك الحجاج من بعد المسافة وتحمل مشاق الطريق المملوء بالمصاعب والمتاعب وركوب متون الابل لقطع تلك الصحاري الشاسعة — ارتأت (١) أن تمد سكة حديدية تمتد من حيفا ومن دمشق الى المدينة المنورة . وقد كان لهذا الاثر الجليل مقصدان : (الاول) اجابة إلحاح مسلمي الارض على مقام الخلافة في ذلك الوقت بهذا العمل ليتمكنوا من أداء فريضة الحج وسنة الزيارة بسرعة تامة وراحة واطمئنان على أموالهم ، اذ يوجد فيهم الشيخ العاجز والطفل الصغير والنساء المخدرات وغيرهم من ذوي المعاذير كالاعرج والاعمى والمقعد (الثاني) تأمين سلطة الخليفة على الحرمين الشريفين ، إذ كان كل خليفة من خلفاء المسلمين يلقب بخادم الحرمين الشريفين ، ويفتخر هو بأن يتولى هذه الخدمة اما بنفسه أو بواسطة من ينوب عنه ابتغاء مرضاة الله تعالى ، واذ كان هذا العمل العظيم يحتاج الى نفقات طائلة وافرة لا يمكن أن يقوم بها فرد من أفراد المسلمين بل ينعذر أن تقوم به الدولة نفسها ، تقرر بعد الاستشارة والمذاكرة ما يأتي

« ١ » المنار : الحق ان السلطان عبدالحميد هو الذي ارتأى هذا الراي ونفذه بقوة ارادته وعلو همته وثقة العالم الاسلامي به كما بينا ذلك في المنار في ذلك العهد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(١) تشكلت لجنة عامة لهذا المشروع أوفدت من قبلها الوعاظ المرشدين الى جميع الاقطار الآهلة بالمسلمين لحثهم على جمع الاعانات له ، فأجيبت الدعوة في كل قطر اسلامي . وكانت اللجنة العليا تنشر مقدار الاعانات وأسماء أصحابها في الجرائد التركية والعربية وغيرها من صحف العالم . وقد وضعت الدولة العثمانية لتنشيط هذا العمل (مداليات) انواطا من الذهب والفضة ، وسمتها باسم اعانة السكة الحجازية ويوجد كثير منها عند المتبرعين ، كما انها أحدثت أوراق طوابع خاصة سمتها بالطوابع الحجازية لكي تلصق على كل ورقة من الاوراق الرسمية لمعاملات الدولة وعلى كل سند وعقد ينظم بين عاقدين ، لافرق بينه وبين الطوابع المختصة بالديون العامة ، ولا تزال هذه الطوابع الى يومنا هذا تلصق ويؤخذ رسمها على جميع الاوراق والمستدعيات التي ترفع الى المقامات الرسمية في تركيا وفي المقاطعات التي انفصلت عنها في أثر الحرب وتقرر انسلاخها عنها بموجب معاهدة لوزان الاخيرة

(٢) قبل وقوع الحرب الاخيرة حصل اعتراض من سفراء الدول الاجنبية على إلصاق طوابع الاعانة الحجازية على الاوراق التي تتقدم من طرف رعايا الاجانب ، وكان من حجج اعتراضهم ان هذه الطوابع وضعت لاعانة دينية اسلامية فلا يجب على الاجانب دفعها ، وبناء على هذا الاعتراض قررت حكومة الاستانة وقتئذ ان إلصاق الطوابع الحجازية على الاوراق المتعلقة بالاجانب أمر اختياري لا اجباري ، وبلغت جميع ولاياتها هذا القرار وهذه التبليغات لاتزال محفوظة الدوائر في الرسمية .

(٣) في ١٨ أغسطس سنة ١٣٣٠ (الموافق سنة ١٩٢١) صدر قانون بالحاق السكة الحجازية بنظارة الاوقاف بناء على كونها من الاوقاف الاسلامية الموقوفة على الحرمين الشريفين ، وفيه ان ريعها يصرف قسم منه على تأمين دوام عمارتها ، والقسم الآخر يصرف على الخيرات والتحسينات في سبيل استكمال استراحة حجاج بيت الله الحرام ، وتأمين راحتهم في حلهم وترحالهم

ومن المعلوم ان الوقف في عرف الشرع عبارة عن حبس العين الموقوفة على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجه تعود به منفعتها الى ما وقفت له منه وتبقى ثابتة لا تملك ولا يتصرف فيها ببيع ولا رهن ولا هبة ولا غير ذلك مما يخل بغرض الواقف ، وينافي نص الشارع . فالاوقاف الصحيحة المماثلة لوقف السكة الحجازية لاتباع ولا تشترى ولا يجوز هبتها لاحد ، وان لكل فرد من أفراد الامة الاسلامية بعيداً كان أو قريباحق الانتفاع بها في الحج والزيارة، وما يتبعهما من تجارة ، وحق المدافعة عنها اذا اعتدي عليها ، وليس الوقف خاصا بالشرع الاسلامي فعند سائر الملل أوقاف دينية وخيرية مصونة من كل اعتداء ومحترمة عند سائر أهل الاديان .

(٤) كانت الحكومة الافرنسية في أثناء عقد قرضها الكبير لتركيا سنة ١٩١٤ طلبت جعل الخط الحجازي تحت ادارتها من قبيل الكفالة والضمان لذلك المال أو بعضه ، فردت الحكومة التركية هذا الطلب الشاذ رداقطعيا بحجة كون الخط وقفا شرعيا لايجوز لها التصرف فيه بذلك على ما كان من احتياجها الشديد الى النقود في ذلك الوقت

(٥) ـ كان الخليفة عند انشاء هذا الخط هو الناظر عليه بما له من حق الولاية العامة في الشرع الاسلامي لا بصفة أخرى

بعد هذه البينات نقول :

إن السلطة الافرنسية في سورية لم تراع حق وقفية هذا الخط ووجوب جعله في يد المسلمين الموقوف على منفعتهم الدينية ، فاستولت عليه في آخر شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٢٤ وجعلته تابعا لشركة سكة حديد الشام وحماه وتمديداتها الفرنسية بموجب مقاولة عقدتها معها مباشرة بغير استشارة أحد من متولي ادارة الوقف ولم تشأ السلطة الافرنسية المذكورة نشر تلك الاتفاقية لما تعلم هي من اجحافها العظيم بمصالح الخط، بل أبقتها سرا مكتوما بينها وبين الشركة المذكورة ، ولكن تيسر لبعض المنقبين أن يعلم من أحد كبار مأموري هذه الشركة ان حصتها هي بنسبة ستين بالمائة من أصل ريع (واردات) الخط ، ولها فوق ذلك امتيازات أخرى من التصرف فيه كاستعمال قاطراته وشاحناته (عربات النقل) على خطها بلامقابل ولا بدل. ولم يسمع ولم ير في زمن من الازمان ولا في مكان من الامكنة ذات القوانين والنظام عقد اتفاقية جائرة ظالمة بهذه الدرجة المدهشة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لاتأتلف مع شرع ولا منطق ولا قانون

على ان شركة سكة حديد الشام وحماه وتمديداتها لم تتمكن من تاريخ تأسيسها قبل ثلاثين سنة تقريبا حتى الآن من تحسين شئون ادارتها وتلافي عجزها المالي السنوي المستمر وهي تستوفي أعشار حمص وحماه لسد عجزها خصوصا فيما ينعلق بخط رياق ـ حلب، اذ الكفالة الكيلو مترية بموجب صك امتيازها لان تكون الحاصلات غير الصافية ثلاثة عشر ألف وستمائة فرنك عن كل كيلو متر في السنة علاوة على كون مقدارهذه الحاصلات زهيداً جدا بالنسبة الى الخطوط الحديدية لم تتمكن الشركة المذكورة من الوصول اليه والحصول عليه وأما حاصلات ادارة السكة الحجازية التي نزعتها السلطة الافرنسية من يد ادارتها التي لم يكن يوجد بين رجالها أحد ما من الاجانب فلم تنقص عن ثمانية وعشرين ألف فرنك في السنة عن كل كيلو متر من السنين الاربع الاخيرة، وهي قد تمكنت من أن توفر مبلغا نقديا قدره (٤٧٠٥٢٢) ليرة لاجل استعماله في ترميم أقسام الخط المخربة ما بين معان والمدينة المنورة ولكن الشركة الافرنسية استولت على هذا المبلغ أيضا وعلى جميع مافي مخزن الادارة الكبير من الادوات التي تبلغ أثمانها مائتين وعشرين ألف ليرة أخرى، وعلى جميع القاطرات والشاحنات والعربات بما فيها والقسم الذي تم اصلاحه وترميمه المعد لاستئناف العمل وتأمين السير والسفر للحجاج الكرام حتى المدينة المنورة كما كان متبعا قبل الحرب .

نفذت السلطة الافرنسية في سورية هذه المعاملة المجحفة خلافا للشرع الشريف ولنص المادة (٦٠) الستين من معاهدة لوزان ولاحكام المواد السادسة والتاسعة من صك الانتداب على سورية التي تقضي باحترام الاوقاف وعدم التجاوز عليها والتدخل في شئونها . فهذا الاعتداء يعد اعتداء على الشرع الاسلامي نفسه وعلى المصالح الاسلامية الخاصة بالمسلمين، وقد تبعه الاعتداء على جماعة كثيرة من المسلمين، فان الشركة المذكورة قد بادرت من أول العهد باستيلائها على الخط الحجازي في سورية باخراج مائتين وواحد وأربعين مأموراً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومستخدما فيه فقضت بذلك على مائتين واحدى وأربعين عائلة، واستخدمت من عندها من يقوم مقامهم ممن ليس له مثل مالهم من الخبرة والتمرن على العمل لانهم شبوا في خدمة الخط الحجازي وتدربوا وتمرنوا فيه منذ سنين طويلة وكانوا معدّين للاستخدام فوراً على ما يتجدد من أقسامه ويوجد من فروعه، تأمينا لدوام سير الاعمال، ومنعا لتأخير السفر الى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام. ان حركة السلطة الافرنسية الواقعة هي عبارة عن ضربة متوجهة الى قلب الاسلام.

وكان يجب عليها أن تساعد على توحيد فروع الخط مع ادارته، وتشكيل لجنة اسلامية لمراقبة سير أعماله بموجب قرار لوزان المؤرخ في ٢٧ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٣ خدمة للمقصد الجليل الذي أسس لاجله ولادامة حياته، ولكنها لم تفعل هذا ولم تترك الخط لادارته الاسلامية المنظمة بل شاءت أن تقضي عليه وأن تجعله للافرنسيين لا للمسلمين

ان تجزئة خط الحديد الحجازي جناية عليه لا يجوز التسامح فيها البتة، لان بعض أقسامه يضمن بقاء البعض الآخر، اذ منها ذو الزيح الدائم وبعضها الاربح فيه في معظم السنة، واننا نرى بعض أقسامه المثمرة كقسم حيفا بيد سلطة غريبة غير مسلمة أيضا، فهي تجني الثمار منه وتصرفها في غير ما وقف عليه الخط وما أنشيء لاجله، وبذلك يبقى القسم الجنوبي الكبير الممتد الى المدينة المنورة في منطقة الحجاز خرابا لا يقوم بالمقصد السامي الذي أسس لاجله وهو نقل الحجاج الكرام الى مدينة الرسول وتقريبهم من بيت الله الحرام لعدم كفاية حاصلاته لتسديد ما يحتاج اليه من النفقات، فاننا نرى في آخر احصاء للخط الحجازي قبل الحرب (وهو احصاء سنة ١٩١٣) ان واردات الخط الكبير كانت (١٩١٣٧٤) ليرة عثمانية ذهبية، وان نفقاته بلغت (٢٢١٤٣٠) ليرة فيكون النقص (٣٠٠٥٦) ليرة، ولكن واردات قسم حيفا كانت في السنة المذكورة (٩٢٤٢١) ليرة ونفقاته (٢٩٥٩٩) ليرة فتكون الزيادة (٦٢٨٢٤)

فيتضح من ذلك ان قسم حيفا أيضا لازم غير مفارق للخط الكبير وانه بدونه لا يمكن تأمين السير والسفر على هذا الخط المقدس بسبب العجز البالغ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٣٠٠٥٦) ليرة ، يضاف الى ذلك أيضا انه اذا بقي قسم حيفا منفصلا عن الفرع الكبير على اتصاله بالبحر فان تعليمات الفحم التي تقدر بـ(١٨٠٠٠) طن ستنقل بأجرتها على هذا القسم وتبلغ مصاريفها (١٤٥٠٠) ليرة تقريبا يعني ان الخط الجنوبي الكبير يخسر لذلك سنويا (٤٤٥٥٦) ليرة وهذا الحال يكون قاضيا على حياته مما لا يرضاه العدل العزيز والوجدان الطاهر. اه

(المنار): يجب على العالم الاسلامي أن يرفع صوته بالاحتجاج على ما فعلته السلطة الفرنسية في سورية من الاستيلاء على السكة الحجازية ، وسنبين هذا في جزء ثان ان شاء الله تعالى

الوثائق الرسمية ، في المسألة العربية

١

﴿ الاتفاق بين الامير فيصل والدولة الفرنسية على الانتداب في سورية ﴾

نشرت الحكومة الفرنسية بيانا عن المسألة العربية جاء فيه نص الاتفاق الذي عقدته بينها وبين الامير فيصل في أواخر سنة ١٩١٩ وهو الذي حمله فيصل الى سورية في شهر فبراير سنة ١٩٢٠ ليأخذ من زعماء الامة تفويضا بعقده نهائيا وقد بينا ما كان من أمر خيبته فيه من قبل وهذه ترجمة الاتفاق

باريس في ٦ يناير (كانون) الاول سنة ١٩١٩

المادة ١ تؤيد حكومة الجمهورية الفرنسية اعترافها بحق الشعوب السورية في حكومة ذاتية

المادة ٢ ـ تتعهد الحكومة الفرنسية ببذل مشاركتها بكل صفة للامة السورية وضمان استقلالها ضد كل تعد في الحدود التي سيعترف لها بها مؤتمر الصلح

المادة ٣ — يعترف صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن الامة السورية المستقلة لا يمكنها أن تستغني الآن عن مشاورة ومساعدة « مندوب » يرشدها في ادارتها الى الوقت الذي تقدر فيه على ادارة شؤونها بنفسها . ويقبل باسم الشعوب السورية أن يفوض الى فرنسة هذا الانتداب

المادة ٤ — يتعهد صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن يطلب من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحكومة الفرنسية — من هذه الحكومة وحدها — المستشارين اللازمين لتنظيم الادارات الملكية والعدلية والنافعة والمعارف وكل الفروع التي يتبين النفع من انشائها باتفاق مشترك بقصد النظام والتقدم

ويكون للحكومة الفرنسية حق الاولوية في المشروعات الصناعية والقروض المحلية وتحترم أساس القانون الشرعي في مسألة الاوقاف

المادة ٥ — تسهيلا لتسيير الضمان المعطى من فرنسة للامة السورية يطلب صاحب السمو الملكي الامير فيصل حالا من الحكومة الجمهورية رجالا ـ ضباطا ـ مدربين لتنظيم الدرك والشرطة .

المادة ٦ — يقيم صاحب السمو الملكي الامير فيصل في باريس بجانب ناظر الخارجية معتمدا مفوضا موكلا يتتبع المسائل الخارجية التي تهم الامة السورية ويفوض الى الممثلين السياسيين والقناصل الفرنسيين في الخارج تمثيل المصالح الخارجية للدولة السورية ، ويصدر للقناصل توكيلا منه بالمسائل السورية

المادة ٧ — يكون لبنان مستقلا تحت الوصاية الافرنسية في الحدود التي يخصصها له مؤتمر السلم

المادة ٨ — سيبقى هذا الاتفاق الحاضر الذي تعين به القواعد العمومية مكتوما بين الطرفين الى حين إمضاء الاتفاق القطعي المفصل « ويدون عند رجوع الامير فيصل من سورية » ويتبلغ هذا الاتفاق الى مؤتمر الصلح في الوقت الملائم

(٢)

(تعديل هذه الوثيقة)

باريس في ١٦ يناير (كانون الاول) ١٩١٩

بناء على التصريح الافرنسي — الانكليزي بتاريخ ٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ من جهة وبناء على المبادىء العامة المختصة بتحرير الشعوب وبالمشاركة الودية المعلنة من قبل مؤتمر السلم من جهة أخرى تؤكد الحكومة الجمهورية الافرنسية اعترافها بالحق للاهالين الناطقين باللغة العربية والقاطنين في أرض سورية من كافة المذاهب أن يتحدوا ليحكموا انفسهم بأنفسهم بصفتهم أمة مستقلة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعترف صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن الاهالي السوريين لا يستطيعون في الوقت الحاضر لاختلال النظام الاجتماعي الناشيء عن الاضطهاد التركي، والخسائر المحدثة أثناء الحرب أن يحققوا وحدتهم وينظموا ادارة الامة دون مشورة ولا معاونة من أمة مشاركة على أن تسجل تلك المشاركة Cooperation من قبل جمعية الامم عند ابرامها فعلا

وباسم الشعب السوري يطلب هذه المهمة من فرنسة

١ — تتعهد الحكومة الافرنسية بأن تمنح للامة السورية مساعدتها على شؤونها بجميع أنواعها وأن تضمن استقلالها ضد كل تجاوز ضمن الحدود التي سيعترف بها مؤتمر السلم وفي تعيين هذه الحدود ستبذل الحكومة الافرنسية جهدها لتقرير التعديلات العادلة من حيث الجنسية واللغة العربية

٢ — يتعهد صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن يطلب من الحكومة الجمهورية الافرنسية — هذه الحكومة وحدها — المستشارين والمدربين والمأمورين الفنيين اللازمين لتنظيم جميع الادارات الملكية والعسكرية وهؤلاء المستشارون والاخصائيون يستمدون تفويضهم وسلطتهم التنفيذية من الامة السورية

يشترك المستشار المالي في اعداد ميزانية الخرج والدخل لاقامة أساس التنظيم المالي الذي تبنى عليه قواعد ادارة الدولة (السورية) الجديدة، وهو الذي ينفذ بالاجبار جميع نفقات الادارات المختلفة وله أن يبحث عن حصة سورية من الديون العمومية العثمانية

وستكون السكك الحديدية المعطى امتيازها من خصائص مستشار (النافعة)

وفي أثر انعقاد الاتفاق الحاضر تمنح الحكومة الفرنسية مساعدتها لاجل تنظيم الدرك والشرطة والجيش

يعترف صاحب السمو الملكي الامير فيصل للحكومة الفرنسية بحق الاولوية التامة في المشروعات والقروض المحلية الا ضد الوطنيين الذين يعملون لانفسهم ولا يغيرون أسماءهم لرأس مال أجنبي

٣ — يقيم صاحب السمو الملكي الامير فيصل في باريس لدى ناظر الامور الخارجية مفوضا ينتدبه سكرتيره للامور الخارجية يعهد اليه النظر في المسائل الخارجية التي تهم الامة السورية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويعهد الى ممثلي فرنسة السياسيين وقناصلها في الخارج بتمثيل مصالح دولة سورية الخارجية

يكون المفوض السوري الذي يقيم في باريس مندوبون تابعون لامره في لندن وروما وواشنطن ضمن نطاق السفارة الافرنسية ووظيفتهم رؤية المسائل المختصة بأحوال السوريين الشخصية

وسيعهد للقناصل الفرنسويين بمهمة القنصلية السورية

٤ — يعترف صاحب السمو الملكي الامير فيصل باستقلال لبنان تحت الوصاية الفرنسية وبالحدود التي سيعينها له مؤتمر السلم

٥ — يتعهد صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن يتعاون مع فرنسة على تنظيم حكومة لدروز حوران في داخل الدولة السورية تكون متمتعة بأوسع شكل من الاستقلال الاداري يلتئم مع وحدة الدولة

٦ — تتعهد الامة السورية بأن تبذل جميع قواها في المساعدة التامة لفرنسة في كل فرصة امتنانا من العهد الذي عقدته مع المندوب العالي الافرنسي ممثل الدولة المساعدة اقامة عادية في حلب ليكون بهذه الصورة على مقربة من كيليكيا وهي منطقة الحدود التي تجتمع فيها عادة الجنود الحامية، ويكون لرئيس الدولة السورية والمندوب العالي الافرنسي مثنى في بيروت التي ستتمتع بادارة بلدية مختارة

يبقى هذا العهد الذي تضبط به المبادىء العمومية مكتوما بين الفريقين الى امضاء الاتفاق القطعي المفصل الذي سيحرر عند رجوع صاحب السمو الملكي الامير فيصل الى فرنسة وسيعرض في الوقت الموافق على مؤتمر السلم اهـ

﴿ المنار ﴾ هذا هو الاستقلال الذي كانت جرائد الدعاية البريطانية تبشر به السوريين مع سائر العرب وفي مقدمتها جريدة القبلة وجريدة الكوكب وجريدة المقطم

هذا هو الاستقلال الذي كان فيصل يحلف الايمان المغلظة في خطبه ومحادثاته بانه لا يقبله الا تاما ناجزا مطلقا من قيود الحماية والوصاية وكل تدخل اجنبي والا كان بريئا من دم محمد ومن نسب محمد «صلى الله عليه وسلم» وكان يطلب من وجهاء السوريين واحزابهم ومن المؤتمر السوري أن يفوضوه في سياستهم الداخلية والخارجية بلا شرط ولا قيد وكادوا يخدعون ولو فعلوا لسجل على بلادهم جعل العبودية ولكنه خاب أولا وآخرا ولله الحمد، ولا ندري ما تكون عاقبة أمره فيما عاهد عليه الانكليز في العراق من تقييد الامة بامضاء صك عبوديتها و بيع استقلالها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أثارة من تاريخ الزلازل وعلم الارض

لمحمد الرشدي بك آل الحجازي من أركان الحرب

(كتب بمناسبة تلك الزلازل الشديدة التي انتابت المدن الكبرى في بلاد اليابان، فخربت العمران، وقتلت مئات الالوف من السكان، وسارت أخبار أهوالها الركبان، وقد جمعت المقالة للمجلد السابق ومرت سنة كاملة ولم يمكن نشرها، وانما ننشرها الآن للعبرة بها والتذكير بحقارة هذه الدنيا وعمرانها، والترغيب في العمل للآخرة التي يندر في هذا العصر من يذكر بها. قال الكاتب)

رمى الحدثان أهل اليابان بمأساة سمدوا لها سمودا، وقرحوا أعيا وخدودا، ولا عجب، فان الخطب الذي لحق بهم من أقسى الارزاء التي أصابت الانسانية من غليان مراجل الارض التي اتخذ الناس مسكنهم منها، واعتمدوا في معاشهم عليها ولكن الانسان جبل على النسيان، فمن ذا الذي يذكر زلازل مسينى التي أودت بما يزيد عن مائتي الف نفس وزلازل صقلية التي خربت مرارا مدنها وقراها ونخص بالاشارة منها تلك التي خربت في عام ١٦٩٣ وحده أربعا وخمسين مدينة وثلاثمائة قرية وقتلت ستين الف نسمة! فكأنما قيل لاهل تلك الجزيرة الجهنمية

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكمو يصير الى تراب

ولكن ليس بسير الامور الى الزوال بالسنة الطبيعية المطردة، بل فجأة وغيلة بغدر الطبيعة وحسن ظن الناس بدنياهم * دار الردى وقرارة الاكدار *

ومن ذا الذي فكر قبل مصيبة (طوكيو ويوكوهامة) وغيرهما من مدن اليابان وقراها أو بين وقوعها وبين حدوث الثور الاخير لبركان اثنة في صقلية في أن ليسابونه (أو ليشبونة) عاصمة البرتغال منها أصابتها مثل هذه الارزاء مرارا، وانها في شهر نوفمبر من عام ١٧٥٥ رجتها الزلازل رجة شعر بها في مقدار جزء من اثني عشر جزءاً من سطح الكرة الارضية، وصيرتها أطلالا تدفن تحت ترابها وأحجارها وخشبها وحديدها اكثر من ستين الف شخص!

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نعم ، لا يذكر الا القليل من أهل التاريخ ـ الذين مهمتهم أن يحفظوا ذكرى الحوادث ـ تلك الكوارث التي انتابت الانسانية في عام ٧٩ قبل الميلاد حيث زلزلت الارض زلزالها وأخرجت أثقالها في ساحل نابولي وما اكتنفه فقوضت أعراش بومبئي وهركولانوم وأطغت عليهما سيلا من المواد الذائبة التي لفظها بركان لم تطفىء الايام الى الآن جمرصدره ـ وهو بركان فيزوف ـ وما أصاب منها أرجاء البحر المتوسط في عامي ١٩ و ٥٢٦ بعد المسيح حيث قضت في كل مرة على نحو مائة وعشرين أو مائة وخمسين الفا من البشر وما كان لهم من أموال وأنعام ، وفي مدينة نابولي نفسها التي رجت أرضها عام ١٦٣٨ رجة قضت على ما فوق ثلاثين الفا من الانفس ، وجزيرة جامايكا التي اهتزت اهتزازا كفى لازالة مدينة وأهلها من عالم الاحياء ، اذ محت مدينة بور روايال وأماتت أكثر من ثلاثة آلاف نفس من أهلها ، وفي ليما وكالاس حيث دمرت المدينتان وفارق ثمانية عشر (الفا) من السكان الحياة فيهما ، وفي المارتينيك حيث صارت مدينة سان بيير الى ما صارت اليه بور روايال .

لا يذكر سوى المؤرخين ذلك وغيره مثل طغيان الماء على الارض في مدينة « جالفستون » بسبب حركة الزلازل التي دمرت المدينة كلها وحكمت طوفان السيل فيها ، وما لحق بالانسانية قبله وبعده من الجوائح والمصائب .

بل سينسى أهل اليابان أنفسهم ما لحق بجزائرهم في أوائل هذا الشهر ، كما نسوا ما حل بهم من قبله ، وسينسى أهل مسيني ما أصابهم من اثنة وزلازل مسيني وصقلية وأهل ايطالية ما أصاب أنحاءهم الجنوبية ، كما سينسى أهالي الدر ما نال منهم طغيان النيل في هذا العام .

ولولا ذلك لما سكن أحد نابولي وليشبونه ومسيني وأراضي صقلية وجزائر اليابان والاقيانوسية وغيرها ، ولما اتخذت ايطالية نابولي أهم مرفأ لها ، ولما شنت الامم الحروب بعضها على بعض مع أنه لم تخرج أمة مرة من حرب ولو ظافرة إلا وأسفت على ما ضاع من النفوس والاموال ، وفضلت الرغبة الى نعيم السلام ، الذي هيهات أن تسمح به الايام . . . . . .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكن أين يذهبون اذا أرادوا السكنى في جهة لازلازل تحركها ؟

أن شرقي آسية ووسطها وجنوبيها وجزائر الاقيانوسية ووسط أفريقية وشماليها وجنوبيها ووسط أوربة وجنوبيها وغربها أراض صلبة هي من أكثر الاراضي تأثراً بالزلازل وفيها كثير من البراكين لاتزال تلفظ اليحموم وسيول المواد الذائبة والنار ، كما أن أميريكة من أراضي أميرالويلس (برنس اوف ويلس) واسلانده (أو آيلند) ـ اذا اعتبرنا اسلانده من اميريكة (ـ وهو على رأينا أصح من اعتبارها من اوربة) ـ شمالا الى رأس القرن (كاب هورن) في أراضي النار جنوبا بلاد أوجدتها سلسلة براكين قد تكون سبب زوالها بعد أن كانت سبب وجودها .

ولقد أصابت اليابان قبل الآن من هذا القبيل مصائب كثيرة أخصها مصيبة زلازل عامي ١٨٩١ و١٨٩٦ و أكبر منها مصيبة ١٨٥٥ التي دمرت توكيو وكانت وقتئذ تدعى « ييدو ») ، كما أن زلازل كراكاتا التي لم تقتصر على رج ما على القشرة الارضية من جزائر الاقيانوسية وجنوب الصين والصين الهندية وسيام الهند ، بل وصلت تموجات الارتجاج الى جنوب أفريقية ، بل الى جنوب اميريكة أيضا بل الى ماوراء رأس القرن غر .

وكذلك الهند التي أصابها ارتجاج عقب زلازل طوكيو ويوكوهامة هذه الاخيرة هزتها كلها زلازل عام ١٨٦١ هزة عنيفة وكذلك أواسط آسية رأت من الزلازل ونتائجها كثيرا مما يروع ويفزع ، وخصوصا زلازل ارجاء بحيرة البيكال التي طرأت في عام ١٨٨٨ . ولقد ذكرنا زلازل ليشبونة في عام ١٧٥٥ وقد اهتزت لرجاتها ارجاء الجزيرة (أو شبه الجزيرة !) الاميرية ـ أي البورتغال وأسبانية وإفرنسة وسويسرة وجزء من شمالى إيطالية وجزء من غربي المانية وشماليها وجنوبي السويد وجنوبى النروج وغربيها وجزء من شماليها وأراضي الدانمارك وهولاندة و(بلجيكة) وجزيرتي انكلترة وايرلندة كلها .

ولم تكن اميريكة الشمالية ولا اميريكة الجنوبية بأسعد حظا ، فقد أصابت الاولى زلازل كثيرة نخص بالذكر منها زلازل ١٨٧٥ التي رجت شرقيها ، وزلازل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٨٩٥ التي رجت وسطها ، وزلازل ١٨١١ و ١٧١١ التي رجت كل أراضي جنوبي أميريكة الشمالية و بعض أراضي شمالي اميريكة الجنوبية وما بينهما من جزائر الانتيل. وأما الثانية ـ أي اميريكة الجنوبية — فقد أصابها في شمالها ووسطها وجنوبها الغربي والشرقي مادونته سجلات التاريخ، وقماطر علم الارض، وخصوصا زلازل ١٨١٥ التي أصابت الشيلي ، وزلازل ١٨٩٥ التي عمت الشيلي وقسما كبيراً من الجمهورية الفضية (الارجنتين) والاوروجواي والباراجواي و بوليفية ، وجزءا من البرازيل

فهل سلمت أراضي الشرق العربية — ونعني بها ما جاور مصر — من تلك الزلازل ؟ لا ، بل تناوبتها الزلازل حينا بعد حين ، نخص بالذكر منها تلك التي لم تمر عليها ثلاث وخمسون سنة كاملة ، وهي زلازل عام ١٨٧٠ التي شملت مصر وقسما كبيراً من سودانها وطرابلس الغرب وتونس غربا ، وقسما كبيراً من بلاد العرب وسورية والاناضول والبلقان وجنوبي ايطالية !

وأما أراضي الجزائر والمغرب الاقصى فهي جبلية بركانية في أكثر مساحتها ومن المعلوم أن أفريقية كانت متصلة بأوربة ـ وعلى الاخص في جهة المغرب الاقصى ومافصلتهما سوى الزلازل التي مزقت القشرة الارضية البارزة عند مقترب المحيط الاطلسي والبحر المتوسط واحتشت بينهما بحر الزقاق أو ممر جبل طارق .

واذا لم يسجل التاريخ زلازل في صحراء أفريقية الكبرى ولا في غربيها ووسطها وجنوبيها فليس ذلك لانه لم تحدث هناك زلازل ـ بل لان الطوارق وأهالي السودان والكونغو والهوتانتوتيين وغيرهم لم يسجلوا ما لحق بهم منها ولم يقيسوا مدى تموجاته بآلات قياس الزلازل ... بل لم يرتقوا الى تدوين أمثال هذه الاحداث الكونية في تواريخ بلادهم

لقد درس علماء الارض والباحثون منهم في الزلازل خاصة هذه الشئون واستعملوا ما يستخدمون من آلات رصد الزلازل كالبندول الافقي وآلة مقياس الزلازل وغيرهما، فوجدوا انه لا يوجد مقدار شبر من الارض خلوا من الاهتزاز الذي قد يشتد يوما فيكون زلزلة تميد بها الدور والقلاع والجبال . . . ولا تترك من البروج المشيدة الا الاطلال . . .

فأين يقطن الناس المساكين ليأمنوا أن تخسف بهم الارض ؟ ؟ ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لعمري ان آمن أنواع المساكن ضرراً هي الاهرام لمن أراد سكنى قصور الاحجار وما بني بالبتون على نمط مخازن الذخائر في القلاع وأخفها وأسلمها الخيام التي يقطنها البدو آمنين أن تسقط عليهم السقوف والجدران. . . فهل تعود المدنية بعد إزدهارها ورفاهتها ، الى ما كانت الانسانية عليه في بداوتها وتقشفها ؟ . . .

لقد كان اليابانيون ولا يزال بعضهم الى الآن يبنون دورهم بقصب البمبو جاعلين جدرانها من الورق . . . كما كان أهل الآستانة يبنون مساكنهم بالخشب ثم هؤلاء وأولئك اتبعوا حركة « المدنية » الحديثة في البناء بالاحجار والبتون والحديد ، ومنهم من فكر في اتباع الطريقة الحمقاء أو طريقة وضع الرمح فوق كل اعتبار آخر ـ وهي الطريقة الاميريكية الفظيعة التي تشيد بها منازل ذات طباق تعد بالعشرات . . . فاذا ارتجت الارض تداعت جدران هذه الابراج المشيدة وسقط سكانها من أعلى عليين الى أسفل سافلين تحت الانقاض وفيما بينها !

ان هـذه الحماقة في التقليد نراها هنا في آلمانية أيضا . . . . فان كثيراً من الشركات اغتنمت حلول الحكم الجمهوري الذي ترك الاعنة لكل النزعات. . . . في محل الحكم القيصري الذي كان يحرم على الناس أن يعلوا دورهم ، فاخذت في بناء الدور الشاهقة التي تريد بها أن تضارع « المحتكات بالسحب » الاميريكية . .

ويعلم الله متى يذاقب البانون والساكنون على هذا الخطأ الفظيع ، نسأل الله السلامة لنا وللناس من عواقب حماقتهم واندفاعهم وراء الربح بغير تروٍ ولا تفكير !

***

تسجل مراصـد الزلازل في أنحاء العالم آلافا من الزلازل في كل عام ، ولا يفهم الناس أنهم يعيشون و يبنون قصورهم على قمة بركان اذا كان لم ينفجر اليوم فقد ينفجر غدا أو كما قال أحد الناس في ابان الثورة الافرنسية « إنهم يرقصون فرق وعاء أو (برميل) بارود » !

إن هذه الارض التي يظنها الناس ساكنة لها في « بدنها » حركة دائمة، وكيف تستقر قشرة رقيقة على نواة غليظة من الجمر ؟ وما البحر بآمن من الارض فانه على زلازل أنوائه وأمواجه ، له زلازل من تحته كالارض

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فمتى تعقل الانسانية وتتخذ لنفسها الحيطة من خطر هي معرضة له في كل طرفة عين؟

فليرجع الناس الى ما كانت عليه مبانيهم من البساطة والصغر، واذا كان العلم قد أفادهم، فليتخذوا وسائل لمنع سقوط السقوف والجدران، والوقاية من الحريق الذي كان يلتهم أخشاب الاسنانة وورق اليابان . . . .

ان مصيبة اليابان على فداحة ضحاياها من الانفس والاموال، لا يقف مدى خطبها لدى ماظهر من جسامة الرزء. بل إنها اكبر بكثير من كل مصيبة حلت بتلك الارض الجهنمية. فانها ضربت «اقتصاد» اليابان من زراعة وصناعة وتجارة ضربة تكاد تكون قاضية عليه اذا لم يبذل في إصلاح ما أفسدت فوق مايستطاع من الجهد الانساني، واذا لم تمدها الامم الاخرى يد المعاونة والمساعدة، ومتى تعيد اليابان بناء مصانعها ومتاجرها ومزارعها التي قوضتها الزلزلة واعفت النار ثارها؟ ... ومتى تعيد دور علومها وأماكن فنونها، وتستعيض عمن قضت عليه هذه الكارثة من رجال العلم والسياسة والاقتصاد؟

نعم إنه لا يجوز اليأس مادامت في اليابان أم تلد (والامهات يلدن كثيرا في اليابان - ويفاخرن أمم العالم بكثرة من يلدن) ولكن مما لا يجوز للشك أن يتطرق اليه، هو أن خطب اليابان أعظم خطب مر أته أمم الانسانية بعد خطب عاد وثمود.

﴿المنار﴾ بعد كتابة هذه المقالة وقبل نشرها نقلت صحف العالم عن أحد علماء الفلك في انكلترة أنه بعد الدراسة والبحث في اسباب الزلازل عشرين سنة قامت عنده دلائل اقنعته بأن هذه الارض ستخرب في سنة كذا - وذكر سنة قريبة نسيتها الآن - بزلزلة تعم الغرب والشرق فتطغى بها البحار على اليابسة ... الخ

وقد صار الناس يتمارون بامثال هذه النذر المحددة لموعد خراب الارض وهلاك عالمها أو قيام الساعة لتعدد الذين تنبؤا بها وظهر كذبهم وكان الناس يصدقونها في القرون الوسطى حتى كانوا يتوبون الى الله ويتركون المعاصي ويكثرون الصدقات استعدادا للقاء الله تعالى وقد وقف الالوف من أهل اوربة املاكهم للكنائس فى اثر مزعم من هذه المزاعم. — ولكن أقوال علماء الفلك والزلازل في خراب العالم مبنية على اصول علمية اذا لم تبلغ فروعها درجة القطع وتحديد الزمن فلا يستطيع أحد أن ينكر اصولها وامكان وقوع ما اخبر به هذا العالم الانكليزي في وقت ما وقد صرح كتاب الله تعالى بأن للساعة زلزلة عظيمة تتقدمها ولكنه قال (لا تاتيكم الا بغتة)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشيخ محمد مهدي

فجع القطر المصري في الشهر الماضي فجأة بوفاة أخينا وصديقنا الكريم ، ووليّنا الحميم ، الاستاذ محمد مهدي بك وكيل مدرسة القضاء الشرعي والمدرس في القسم العالي منها فكانت وفاته زلزالا عظيما ، ورزءا أليما ، وخطبا جسيما ، شعر بشدة وقعه عارفو فضله من العلماء والادباء ولا سيما الذين تخرجوا به أو تلقوا عنه في المدارس الاميرية الابتدائية فالثانوية فالعالية — وآخرها دار العلوم والجامعة المصرية ومدرسة القضاء الشرعي — والذين عاشروه وحظوا بنصيب من آدابه النفسية واللسانية — فقد كان رحمه الله تعالى نادر المثل ومنقطع النظير في مجموعة أخلاقه وفضائله ومعارفه وآدابه . انني أذكر هنا ترجمته بعض ما سمعت ورأيت منه وما رويت عنه بالايجاز وأختص ما كان من أمره في حزب الاصلاح ومريدي الاستاذ الامام :

هو من عرق ألباني جاور في الازهر سنين ، وتخرج في مدرسة دار العلوم . وكان ممن تلقوا عن الاستاذ الشيخ حسن الطويل أحد أفراد علماء الازهر في هذا العصر في استقلال الفكر وسعة الاطلاع والجرأة على مخالفة الجماهير في الرأي ، وكان تلاميذه في الدرجة الثانية بعد تلاميذ الاستاذ الامام الذين دخلوا هذه المدرسة في أول العهد بتأسيسها ، وأعني درجات الاستعداد للاصلاح . ولهذا كانوا أشد خريجيها رغبة في الاتصال بالامام في قيامه بالنهضة الاخيرة وأكثرهم استفادة منه . ولا غرو فقد كان الشيخ حسن الطويل صديقا للشيخ محمد عبده وأستاذاً له في الازهر قبل مجيء السيد جمال الدين الى هذه البلاد ، جمع بينهما الميل الى العلوم العقلية والبحث عن غير ما يقرأ في الازهر ، وكانا أول من لقي السيد وسمع منه مباحث في تفسير بعض آيات القرآن الحكيم لم يطرق آذانهما مثلها جذبت اليه ثانيهما فانقطع عن كل شيوخه وانفرد بصحبته وكان الوارث الاكبر له كان الجامدون من أهل الازهر لا يستطيعون فتح أبصارهم في نور حكمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاستاذ الامام وعلمه الاستقلالي وآرائه الاصلاحية بل كان بعضهم كالاعمى وبعضهم كالاعشى تجاه ذلك النور . وكان تلاميذ الطويل يصرفون أبصارهم اليه اذا صرفت أبصار غيرهم عنه ، فربما طرفت عين أحدهم عند النظرة الاولى، ولكنه لا يلبث أن يعيدها مرة بعد أخرى ،حتى تقوى على ادراك ذلك النور وإدراك الحقائق به، وكذلك وقع للمهدي

حدثني فقيدنا الكريم بأول عهده بمعرفة الاستاذ قال : ذهبت مع صديق لي الى دار سعد بك زغلول في (الظاهر) ليلة فوجدت عنده الشيخ محمد عبده وقاسم بك أمين وآخرين ، وكانوا يتكلمون في سوء حال المسلمين وما ينتقد عليهم من أمور دينهم ودنياهم، فرأيت أنهم مخطئون في بعض ما يقولون ، وقد أردت أن أجول معهم فيما رأيته خطأ من أقوالهم وما يقرره الشيخ فيوافقونه عليه فألفيتني عاجزا عن الرد عليهم وضقت بهم ذرعا فرأيت من الدهاء أن أورطهم فيما يظهر به خطأ رأيهم للناس فقلت للاستاذ بعد جولة قصيرة معه : اذا كان المسلمون بحيث تذكرون فما بالكم لا تبينون لهم ضلالهم وتدلونهم على المخرج منه بمقالات تنشرونها في الجرائد ؟ — وكنت أمكر به ليكتب فيتصدى للرد عليه من هم أقدر مني على ذلك — فقال الاستاذ : قد صدرت هنا جريدة جديدة لاجل هذه المباحث فيحسن بك أن تقرأها ؟ وذكر (المنار). . .

كان هذا القول سبب اشتراك الفقيد في المنار منذ السنة الاولى وتلا ذلك تعارفنا وتآلفنا ، وكان في أول العهد به يجادلني في بعض مباحث المنار التي يرى فيها نظرا أو خطأ ، وكانت طريقته في المذاكرة أو المناظرة أنه يحفظ لنفسه خط الرجعة غالبا فلا يظهر رأيه بصيغة الجزم ، حتى اذا ظهر له أنه مخطيء لم يشق عليه أن يعترف بالحق ، وكان هذا دأبه طول عمره ، وكان يسر بالفلج والاحسان والاصابة و يدل به فيبتسم وتبرق أساريره فاذا جاراه جليسه وشاركه في تبسمه ضحك فاذا شاركه فيه أطال وأغرب، وكان يكتئب اذا أخطأ فتراه قد تخاوص وقطب

وقد حمد رحمه الله تعالى صحبتي وحمدت صحبته ، ولما اقترحت على الاستاذ الامام عقد مجالس خاصة يتلقى عنه فيها الحكمة العالية بعض خواص المستنيرين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أساتذة المدارس وغيرهم كان الشيخ مهدي أول من ذكرت له منهم فقال لي إن هذا من الجامدين، قلت لا بل هو مستقل الفكر، حريص على حقائق العلم. وكان سبب هذا الظن فيه سمره تلك الليلة معهم في دار سعد باشا زغلول — ثم كان من أحظى الاخوان عند الامام رحمهما الله تعالى

كان الفقيد يحضر معنا دروس الاستاذ الامام في الازهر: رسالة التوحيد والتفسير والمنطق والبلاغة، ولما خرجنا من الدرس الاول من دروس كتاب أسرار البلاغة قال لي: اننا في هذه الليلة قد اكتشفنا معنى علم البيان. وكان يحضر الدروس أو المجالس العالية الخاصة التي كان الاستاذ يلقيها على فئة مختارة في دار أحمد بك تيمور (هو أحمد باشا تيمور عضو مجلس الشيوخ) في شارع درب سعادة، ثم في داره هو بعين شمس — فبهذا كان الفقيد من خواص مريدي الاستاذ الامام الذين وردوا حوضه وشربوا نهلا وعلا، وأشربوا آراءه الاصلاحية فنشروها قولا وفعلا، الا أنه لم يكن يتحرى الدعاية لها، ولم يكن يجهر بنضال الخصوم دونه ودونها، بل كان يوردها في الاكثر من تلقاء نفسه ويجادل فيها على طريقته التي بيناها آنفا

وكذلك كان شأنه في آراء المنار، كان معجبا بها ومظاهرا لي عليها، وكان يقول لي اننا نرى في كل جزء من المنار شيئا جديدا ما كنا نعلمه، وكان يحب نشر ذلك والدفاع عنه بما بينا من أسلوبه وطريقته. فاذا تصدى له بعض خصوم الاستاذ الامام أو خصوم المنار منكرا ومجادلا تحرى في الدفاع أن يكون محايدا لا ضلع له معناه الا أن يكون المنكر من تلاميذه أو ممن هم كتلاميذه في توقيره واحترام رأيه، فقد يصرح حينئذ بالانتصار والثناء، وكان يرى ان هذا الاسلوب وهذه الطريقة أقرب وسائل الاقناع، وهو الذي كان يخبرني بهذا عن نفسه، وكنت أرى ان هذا من الضعف الناشئ عن تحاميه أسباب الانتقاد عليه والتخطئة له، فانه لم يكن يطيق هذا، فكان البون بيننا في هذه الخليقة واسعا،

وكان بعض إخوانه يتهمه بحب الانفراد ولو تشبعا. قال لي أستاذ في الدروة منهم علما واستقلالا وصراحة: فاجأنا أخونا فلان بآراء جديدة ومباحث طريفة يلقيها علينا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في سامرنا لم نكن نعهدها من، ونحن أعلم الناس به، فكنا نجادله فيها ولا نعرف مصدرها حتى اشتركنا في المنار (وكان اشتراك هذا الاستاذ في أثناء السنة الثانية) وعندي من النظر في إطلاق هذه التهمة ان الانسان اذا قنع بشيء وتمكن من نفسه صار رأيا له ومذهبا، وصار يتحدث به من عند نفسه، فهي التي تلقى على لسانه وتملى على قلمه، ما العلة في غفلة عن مصدره، وتكثر هذه الغفلة اذا طال العهد على تلقي ذلك الشيء ولاسيما اذا كان من المسائل التي تتكرر بالاساليب المختلفة لاجل الاقناع بها وتعميم نشرها، دع ما كان من توارد الخواطر، ووقع حافر في إثر حافر

تلك المباحث الاصلاحية التي كانت جديدة في اول العهد بظهور المنار هي ما أشرنا اليه في فاتحته وشرحناه بالتدرج في المقالات المنسلسلة والمتفرقة كمقالات منكرات المولد ومقالات الاصلاح الاسلامي التي انحينا فيها على رؤساء الدين والدنيا من الخلفاء والملوك والمتكلمين والفقهاء والمتصوفة وأهمها مسألة التقليد وتفرق المذاهب. ولما عزمت على بسط هذا البحث واقامة الحجج عليه ووصف العلاج للتفرق بجمع الكلمة على المجمع عليه في الاسلام وجعل المسائل الخلافية في الدين كامثالها في اللغة والعلوم والفنون البشرية لا تقتضي تفرقا ولا عداوة ولا طعنا في المخالف — كاشفت الفقيد بذلك فنصح لي بان لا اصرح بذلك لئلا تقوم قيامة الشيوخ على المنار، فقلت له سأكتب ذلك بصفة مناظرة بين مصلح و مقلد — وافتح باب الرد عليها لمن شاء. وقد نفذت ذلك في المجلدين الثالث والرابع وجمعت تلك المقالات في كتاب (محاورات المصلح والمقلد) التي طبعت في كتاب مستقل كان له في العالم الاسلامي تأثير عظيم. ولقد كنت ارجو عند انشاء المنار ان اجد من هؤلاء الدار بين في مصر حزبا كبيرا يشد ازري في عملي فلم اجد الا افرادا كان الفقيد ابرهم واوفاهم واوصلهم فجزاه الله خير الجزاء. وقد كان من حبه لي ان سمى نجله الوحيد باسمي فاسأله ان يجعله خير خلف له

وجملة القول في نشأة الفقيد الادبية الاصلاحية أنه كان من خيرة الذين تخرجوا في دار العلوم وأرقامهم تحصيلا وأحسنهم تعليما، ومن وسط المستعدين للاصلاح، وأوائل الفئة التي اتصلت بالاستاذ الامام في عهدنا فأشربت طريقته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعتدلة في الاصلاح ومذهبه الوسط الجامع بين هداية الدين على منهاج السلف الصالح وتجديد حضارة الامة بما يقتضيه ترقي العلوم الكونية والفنون الحديثة ،

ومن أكبر الآيات على ذلك تربيته وتعليمه لكريمته (أسماء) فقد رباها تربية اسلامية فاضلة وعلمها تعليما عصريا راقيا. وكان من شجاعته الادبية ان أرسلها الى انكلترة لاتمام تعلمها واثقا بدينها وأدبها ، فحقق الله ظنه فيها وهي الآن ناظرة لمدرسة من مدارس البنات الاميرية تديرها أحسن إدارة .

ومسألة المرأة أهم مسائل تجديد الحضارة في الشرق والمذاهب فيها ثلاثة: مذهب ملاحدة المتفرنجين وهو جعلها كالمرأة الافرنجية حتى في الخلاعة والرقص مع الرجال نصف عارية ومعاقرة الراح معهم وما وراء ذلك من وقاحة وإباحة، ومذهب الجامدين وهو أن تكون جاهلة مظلومة مستضعفة ، ومذهب حزب الاصلاح والتجديد المعتدل وهو أن تربى البنات على التدين والفضيلة والعفاف والتقوى وتعلم القراءة والكتابة بلغة امتها وملتها وامور الدين وكل ما تحتاج اليه للقيام بتكوين الاسرة ونظامها من امور الصحة وتربية الاطفال وتدبير المنزل الخ وأن لا يحرم المستعدات منهن للعلوم العالية منها ولاسيما الطب وآكده مايختص منه بالنساء وادارة مدارس البنات والملاجيء الخيرية للنساء ، وكل ما تمس اليه حاجة الامة

حسبك يا قارىء المنار في الآفاق أن تعرف مما ذكرنا ان الفقيد كان من مريدي الاستاذ الامام أي من الحزب الاسلامي المعتدل الذي لا يرجى بدونه صلاح حال المسلمين وارتقاؤهم المدني والاجتماعي والسياسي مع بقائهم مسلمين كما شهد بذلك بعض أقطاب السياسة من الاوربيين أولي العلم والاختبار لامور الشرق الذين وصفوه بالحزب الوسط بين جمود السواد الاكبر وبين غلاة المتفرنجين. صرح اللورد كرومر بهذا في تأبينه للاستاذ الامام في تقريره عن مصر سنة ١٩٠٥ وسبقه الى ذلك مراسل جريدة التان الفرنسية بتونس

بعد هذا أنقل اليك ما كتبه أحد تلاميذ الفقيد من دعاة التفرنج أنصار الجديد أعداء القديم فيه من هذه الجهة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رأي تلميذ له فيه

كتب الدكتور طه حسين مقالا فيه نشره في جريدة السياسة وهو أحد كتابها ذكر فيه ان الاستاذ المهدي كان له تأثير عظيم في أنفس تلاميذه الكثيرين وأنهم كانوا يحبونه حبا شديدا وان منهم كثيرا من كبار المعلمين والقضاة والمحامين من شبوخ مصر وشبانها ثم قال:

« ولقد أريد أن أترك منه في هذه الكلمة صورة قريبة من الصدق، أريد أن أكون مؤرخا لا مداحا ولا راثيا، وأشعر بأن عمل المؤرخ في مثل هذا المقام ليس بالشيء السهل

«لم يكن الشيخ محمد مهدي من أنصار القديم ولكنه لم يكن من أنصار الجديد، وانما كان وسطا بين هاتين الطائفتين، كان يزدري أنصار القديم ويغلو بعض الشيء في ازدرائهم، وكان يرى خطرا على الرقي العقلي وعلى الحياة الصالحة، كما أنه لم يكن يحب الغلاة من أنصار الجديد بل كان يتبرم بهم كثيرا ويرى خطرا على الحياة الاجتماعية والدينية بنوع خاص. كان شديد الاعجاب بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وبعض تلاميذه، بل كان اعجابه هذا لا حد له، وكان سببا من أسباب قصوره عن إدراك الحياة الجديدة، فكان يخيل اليه أن المثل الاعلى من الرقي العقلي ومن الحرية العقلية انما هو ما وصل اليه الشيخ محمد عبده، وان الذين ينحرفون عن طريق الاستاذ الشيخ محمد عبده الى ناحية الجمود كالذين ينحرفون عن طريقه الى ناحية التقدم خطرون على الحياة الاجتماعية والدينية والعقلية. أولئك يؤخروننا والتأخر شر، وهؤلاء يثبون بنا والوثوب خطر. ثم كان الاستاذ الشيخ مهدي يمثل جيلا خاصا من الاساتذة والادباء هو أقرب الآن الى أن ينتهي ويترك مكانه لجيل من الشبان يخالفه المخالفة كلها. كان قد أدرك ذلك العصر الذي لم تكن فيه حياتنا العقلية والادبية راقية ولا مرضية، وكان من الذين ظهر فيهم الرقي الجديد فكان معجبا بهذا الرقي مفتونا به، و حفظ هذا الى آخر أيامه، فكان يرى نفسه خيرا من غيره، وكان لا يتكلف الاحتياط في اخفاء ذلك أو الاقتصاد فيه، وكان أصدقاؤه وتلاميذه الذين يحبونه ويميلون اليه يسمعون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منه ذلك راضين بل متفكهين، كانوا يبسمون له ويستعيدونه، فاذا انصرف عنهم الاستاذ أعادوا ما سمعوا منه وضحكوا لا ضحك سخرية وازدراء بل ضحك عطف وحب» اه

(المنار) هذا قول صريح من الدكتور طه حسين في رأيه ورأي أمثاله من غلاة التفرنج في حزب الاستاذ الامام الذي بينا أساسه آنفا واذا كان الدكتور طه يعد الفاسق الخليع أبا نواس من المصلحين في عصره، فلا غرو ان يعد الاستاذ الشيخ محمد بهجت ممن يضحك منهم في هذا العصر، ومن آرائهم في الاعجاب بالشيخ محمد عبده ومبادئه في الجمع بين هداية الدين والترقي لدنوي. واننا نود من الدكتور وشبان حزبه أن يبينوا لنا بمثل هذه الصراحة وجه تفضيل جيل الشبان الجديد على جيل المعتدلين المصلحين؟ وهل منه ان السيدة أسماء كريمة المهدي التي تربأ بشرفها ودينها أن تتعلم الرقص مع الرجال الذي شرحته لنا السياسة من عهد قريب تعد من نساء العهد القديم الذي يدعون الى القضاء عليه ؟ أم تعد كأبيها ممن يضحك منهن ويعطف عليهن لانهن تعبن في اقتباس العلوم العصرية ولم يقدرن أن يصلن بها الى «الرقي الجديد» فوجب عليهن أن يتركن مكانهن لبنات الجيل الجديد اللواتي يرقصن مع الرجال الاجانب والوطنيين في مصر الجديدة وشارع عماد الدين كما يرقص أخواتهن التركيات في مراقص غلطه وبيرا مع رجال الروم والافرنج باغواء ملاحدة المتفرنجين هنالك ؟

ان شأن غلاة التفرنج في مصر لعجيب، وأعجب منه تفضيل مثل الدكتور طه المدرس في الجامعة المصرية والمحرر في جريدة السياسة هؤلاء الغلاة على المعتدلين الذين يرشدون الامة الى كل نافع ويزجرونها عن كل ضار من قديم وجديد

ان هؤلاء الغلاة في التفرنج اشد افسادا لامهم من الجامدين على كل جديد فهم الذين يبددون ثروتها في الفسق والفجور، وهم الذين يفسدون أخلاقها وآدابها وأعراضها، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من مقوماتها ومشخصاتها فان كانوا على شيء من العقل والفضيلة فليبينه لنا الدكتور طه وأمثاله لنقيم له ميزان المناظرة، ونحكم فيه مصلحة الامة (للترجمة بقية)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

باب الانتقاد على المنار*)

﴿ تحريم المسلمات على غير المسلمين ﴾

النص الاصولي القطعي والنص اللغوي — الوصف الذي يتخذ علما وعنوانا على أمة أو أهل ملة والوصف الذي يطلق بمعنى قيام الحدث بالموصوف والفعل المسند الى القوم او الأمة — إنكاح المشركين المؤمنات محرم بالنص القطعي وانكاح غيرهم من الكفار محرم بنصوص لغوية لا اصولية قطعية وباجماع المذاهب والقياس

قد عرض في أثناء إصدارنا لاجزاء المجلد الرابع والعشرين أحداث سياسية واجتماعية اسلامية شغلتنا عن إتمام عدة أبواب من أبواب المباحث التي كنا دخلنا فيها كالرحلتين السورية والاوربية ومنها ما كتب الينا من الانتقاد على المنار وأهمه ما كتبه الينا الشيخ محمد عبد الظاهر من خواص اخواننا في الدين وأولادنا في العلم انتقاداً على قولنا في مقالة (مدنية القوانين) التي نشرت في ج٦م ٢٣ من أن النص القطعي في القرآن انما ورد بالنهي عن نكاح المشركات وإنكاح المشركين وبحل نكاح المحصنات من أهل الكتاب ولم يصرح بتحريم انكاحهم — وان التحقيق أن المشركين والمشركات في آية البقرة خاص بالعرب منهم — أعني قوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) الآية — فهو يرى أن عنوان (المشركين) فيها وفي غيرها يعم جميع أهل الملل غير المسلمين ومن الدلائل على هذا عنده اسناد القرآن الشرك الى أهل الكتاب في قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله — الى قوله — سبحانه وتعالى عما يشركون) كما نزه نفسه عن شرك مشركي العرب بمثل هذه الجملة في سورة المائدة — وان الوعيد على الشرك المطلق يشملهم — وأن كونهم صنفا مستقلا لا ينافي دخولهم في الجنس العام وان ابن جرير ذكر وروى عن قتادة ان لفظ المشركين في آية (ولا تنكحوا المشركين) يشمل أهل الكتاب ولم يذكر مخالفا « فعدم ذكره مخالفا دال على الاجماع » !!

كان أخونا المذكور كتب الينا انتقاده هذا مختصراً فكتبنا اليه كتابة

---

*) كتب هذا الباب للجزء الاول ثم اضطررنا الى تاخيره الى الثالث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تبعثه على المراجعة والبحث في بعض المسائل كمعنى النص الاصولي القطعي المراد والفرق بين عنوان المشركين واسناد فعل الشرك الى أهل الكتاب وغير ذلك لانه يُعنى بعلم الأثر دون علم الاصول وغيره من كتب المعقول — وهذا دأبنا مع إخواننا — فبحث كثيراً ثم كتب الينا مقالا طويلا يبلغ ٨ صفحات مزج فيه المسائل ، وخلط الدلائل، وشنع على علماء الاصول ، وجعل التحاكم اليهم تحاكما الى أهل الطاغوت ، وابطالا لكلام الله عز وجل ، برأهم الله تعالى من ذلك، ومن جهل شيئا عاداه ، وكنا نريد أن ننشره ونتكلم على مسائله وأدلته وما فيها وان كان أكثره لا يفيد جمهور القراء بل يكرهه أكثرهم لانه مناقشات لفظية واصطلاحية في شأن فهم باحث أخطأ في فهمه واستدلاله — ولذلك طال الزمان ولم نجد الفرصة وخشينا أن يطول الزمان على ذلك في المستقبل أيضاً فرجحنا أن نكتب ما نرى فيه الفائدة العامة في المسألة وهو:

(١) ان النص الاصولي الذي نعنيه هو عند أهله ما يحتمل معنى واحدا لا يحتمل غيره حقيقة ولا مجازا ولا كناية — وهو انما يشترط في أصول الدين التي يطلب فيها القطع ويعد جاحدها خارجا من الملة فلا يقبل له عذر بالتأويل ، وأما الاحكام العملية فيكتفى فيها بالنصوص اللغوية من منطوق ظاهر ومفهوم موافق، وفي المفهوم المخالف الخلاف المشهور في الاصول وهو ان أبا حنيفة ينفيه والجمهور يثبتون ما عدا مفهوم اللقب منه ، فاستعظام صاحبنا لنفي نص أصولي قطعي في حكم شرعي عملي من الامور الشخصية — استعظام لما ليس بعظيم في نفسه، فان اهل السنة يذكرون في العقائد السمعية مسائل ليس فيها نص قطعي بل يثبتونها بظواهر النصوص اللغوية كميزان الاعمال يوم القيامة ولا يعدون من يتأولها خارجا عن الملة فالاحكام العملية أولى بذلك اذ لم يشترط القطع العقلي في إثباتها أحد من المسلمين — فاضاعة الوقت وكثرة الجدال في محاولة اثبات هذه المسألة بنص قطعي اصولي لا يحتمل التأويل لا حاجة اليهما فحسبنا الظواهر واتفاق المذاهب الاسلامية على هذا الحكم، الا اذا كان المنتقد يرى أن للمسلمين مصلحة راجحة في تكفير من يتأول شيئا من أمثال هذه الظواهر أو ينكر دلالة مثل هذا الاجماع متأولا لا مكابرا ولا معاندا . ونحن نحرص على اتقاء الجزم باخراج أحد المسلمين من ملة الاسلام ما استطعنا

(٢) الفرق بين الوصف الذي يتخذ علما وعنوانا على طائفة او شخص

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبين الوصف أو المصدر أو الفعل الذي يراد به قيام المعنى بالموصوف – ظاهر، ولكل منهما موقع في الكلام. مثال ذلك ان الكفر والشرك والفسق والظلم وما شتق منها قد أطلقت في الكتاب والسنة بحسب معانيها اللغوية على الكفار إطلاق المترادفات، وقوبلت بالايمان والاسلام مقابلة المتضادات، وإطلاقا يشمل بعض منافقي المسلمين الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم وبعض من صح إيمانهم ولكن بمعنى قول العلماء « كفر دون كفر، وشرك دون شرك » أي لا بالمعنى المقابل للاسلام والايمان، وقد بين ذلك المفسرون وشراح الصحيحين وغيرهما من كتب السنة وسبق لنا الالمام به مرارا آخرها البحث المستفيض الذي نقلناه عن كتاب الصلاة للمحقق ابن القيم (ص٦٧٣ ج٩م٢٤) واصطلح علماء الشرع على تخصيص لفظي الكفر والشرك بما يقابل الاسلام ولفظي الفسق والظلم بما يقابل الصلاح والعدل والملل المخالفة للاسلام كثيرة ومن المخالفين له من ليس لهم ملة ينتمون اليها كمنكري الالوهية . فاذا صح أن يسمى كل من ليس بمسلم كافرا اصطلاحا كان لهذه التسمية وجه في اللغة — وان كان الاصطلاح الغالب عند أهل هذا العصر ان لفظ الكافر لا يطلق الا على المعطل الجاحد لكل الاديان — ولا مشاحة في الاصطلاح — ولكن لا وجه في اللغة لتسمية كل من ليس بمسلم مشركا، فان من غير المسلمين المعطل الجاحد، ومنهم الموحد الذي توحيده أرسخ وأصح من توحيد الكثير من طائفة المسلمين الجاهلين بحقائق الاسلام، وما أكثرهم في هذا الزمان

ان الفلاسفة الالهيين ومن يعرفون في أهل أوربة بالعقليين وجلة اليهود والآريوسيين من النصارى المتقدمين وأكثر نصارى هذا العصر الذين تعلموا تعليما راقيا ولم يمرقوا من الدين – كل هؤلاء وطوائف غيرهم من العلماء المستقلين في العلم والدين موحدون ليس في عقولهم شيء من الشرك بالله بالمعنى المعروف في القرآن : سألت عجوزا إفرنسية كانت جارة لنا: مالي أراك لا تذهبين الى الكنيسة يوم الاحد ؟ الست متدينة ؟ قالت بلى وانني اصلي لله في بيتي وما الكنيسة ورجالها الا جماعة احتيال على المال والجاه والله يعلم بصلاتي حيث كنت .قلت وما تقولين في السيد المسيح عليه السلام ؟ أهو إله أم لا ؟ قالت الاله واحد والمسيح مثل نبي — أي هو نبي او من قبيل الانبياء ، وقالت ان اكثر المتدينين المتعلمين عندهم يعتقدون اعتقادها ، ومنه ان لا احد من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لانبياء ولا القديسين يقدر على نفع أو ضر او أي عمل مخالف لسنن الكون

والتوحيد هو أصل دين جميع الرسل عليهم السلام وما طرأ على أهل الكتاب من الشرك هو عين الذي طرأ على كثير من المسلمين الذين لم يتلقوا التوحيد الخالص تلقيا صحيحا من اهل العلم والبصيرة في الدين، وهو لم يكن مستغرقا لجميع افرادهم حتى ما اسنده الله تعالى اليهم في القرآن فهو كاسناده الى اليهود قتل الانبياء عليهم السلام بغير حق وهو إنما وقع من بعضهم ووجهه في اللغة معروف مبين في التفسير وقد قال الله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقال (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) ثم قال بعد ذكر كفرهم وقتلهم الانبياء (ليسوا سواء، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الاخر) الآيات — قال ابن عباس (رض) في تفسير أمة قائمة: على أمر الله لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه اهـ ولم يقل مثل هذا في المشركين

لاجل هذا جعل الله تعالى لفظ المشركين لقبا أو علما لمن كان الشرك قاعدة دينهم والوصف العام لجماعتهم، وجعل العلم لليهود والنصارى «أهل الكتاب» وما اسنده اليهم أو وصفهم به من الشرك فلما كان عرضا طارئا لم يجعله علما ولا لقبا ولا وصفا عاما يطلق عليهم في كل حال أو يميزهم عن غيرهم من أهل الملل بل هو من قبيل ما بيناه في أول هذه المسألة ومن اطلاق ما صدر من البعض على الكل كقتل الانبياء وأكل السحت

مثال ذلك قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم — الى قوله — سبحانه وتعالى عما يشركون) فسر النبي (ص) هذا الشرك بقوله «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه» رواه مخرجو التفسير المأثور والترمذي والطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في سننه من حديث عدي بن حاتم ورواه أكثرهم عن حذيفة أيضا — وهذا النوع من الشرك طرأ على المسلمين أيضا فكثير منهم — ان لم نقل أكثر المتأخرين منهم — يستحلون ما أحل لهم رؤساؤهم الدينيون، ومنهم شيوخ الطريق الجاهلون — ويحرمون ما حرموه عليهم ولكنه من الشرك الذي لا يعده الفقهاء خروجا من الملة الا اذا كان في أمر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة. وهذه الآية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اقوى ما استدل به المنتقد على كون أهل الكتاب من المشركين ـ وقد وردت بعد قوله تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله) ومن المعلوم أن هذا القول قد يطلق عندهم اطلاقا مجازيا لا يعد من الشرك في شيء كقوله تعالى حكاية عنهم (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) وقد ورد في التفسير المأثور وغيره أن من قال من اليهود : عزير ابن الله — بعضهم وروي أنه واحد منهم اسمه فنحاص فهو من باب اسناد ما كان من البعض الى الجنس أو القوم وهو كثير كما تقدم آنفاً

وجملة القول أن اهل الكتاب قد فشا فيهم الشرك وهو ليس من أصل دينهم ولا عاما فيهم بل جميع أهل الملل القديمة كالمجوس والبوذية كانوا أهل كتاب وأتباع رسل ثم طرأ عليهم الشرك والوثنية بالتأويل ولم يعد يعرف لكتبهم أصل لطول العهد ، وأما اليهود والنصارى فقد دل القرآن على أن كتبهم لم تذهب كلها بل أوتوا نصيبا منها ونسوا آخر — وما بقي لهم طرأ عليه التحريف فلذلك ميزهم عن سائر أهل الملل بتسميتهم (أهل الكتاب) وهو يعطيهم هذا اللقب في مقابلة المشركين تمييزاً لهم كما ميزهم بأحكام خاصة بهم من دون مشركي العرب وغيرهم — والمنتقد يعترف بهذا للآيات الصريحة فيه ولكنه يجعله كاللغو الذي لا يترتب عليه حكم ولا يراد به بيان حقيقة ولا يصح أن يستدل به على أنهم لا يعدون من جنس المشركين عند إطلاق كلمة المشركين على الجنس المعين من أهل الملل — وهو مخطيء في هذا

فعلى هذه التفرقة بين الامرين نقول في قوله تعالى(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ الآية — إما أن يراد بالمشركين والمشركات فيه معنى اسم الفاعل وهو من اتصف بالشرك بالفعل واما أن يراد أهل الملة الذين أطلق عليهم في كتاب الله لقب المشركين — فان أريد به الاول فهو لا يشمل الا من كان مشركا بالفعل ، ويخرج من مفهومه من لم يكن كذلك من بقايا الحنفاء الموحدين الذين كانوا يهزؤن بالاصنام وعبدتها من جاهلية العرب والموحدون من سائر الامم — وهو ظاهر البطلان ولم يقل به احد ـ فتعين ان يراد به من جعل لفظ المشركين علماً لهم ولقباً يميزون به من غيرهم ولذلك جعل غاية النهي دخولهم في اهل الايمان المراد بهم المسلمون ـ والظاهر بناء على ما تقدم أن المشركين بهذا المعنى هم اهل الاوثان الذين لا يعرف لدينهم اصل من كتاب منزل كاليهود والنصارى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا شبهة كتاب بحيث يكون لدينهم لقب خاص كالمجوس على قول الجمهور (وقال بعضهم أنهم كانوا اهل كتاب) ولذلك خصوا بلقب مميز في مقابلة المشركين وغيرهم بقوله تعالى في سورة الحج (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا - ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) وانما ذكر المشركون في هذه الآية دون آية البقرة التي ذكر فيها بقية الاصناف لان سياق آية الحج لبيان الحساب والجزاء المطلق وهو عام، وسياق آية البقرة لبيان اجر من اقام اصول دينه الصحيحة وانتفاء الخوف والحزن عنهم يوم القيامة اذ كانت كلها اصولا صحيحة. والمشركون لا يشاركون هذه الاصناف فيها وهي قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

واذا امكن المراء في ان يكون هذا هو الظاهر المتبادر من لقب المشركين والمشركات فلا يمكن المراء في انه ليس نصا اصوليا قطعيا فيما عدا المسلمين من اهل الكتاب وغيرهم، والقول باتحاد الحكم وتحريم انكاح اهل الكتاب لا يقتضي ذلك لجواز ان يكون قد ثبت بدليل آخر - فهذا الوصف ليس نصا لغويا ولا شرعيا في ذلك؛ بدليل ما بيناه من معناه اللغوي ومن استعماله في الكتاب العزيز، ومثله في كتب السنة كثير، ومنه بعض ما نقله المنتقد من صحيح البخاري كقوله (باب اذا اسلمت المشركة او النصرانية) الخ فالعطف يقتضي المغايرة - وهذا هو اصطلاح الشرع في اللقب وجعله عنوانا على اهل الملة - فكيف يقال إنه نص اصولي قطعي في كل كافر لا يحتمل غير ذلك لغة ولا عرفا ولو بطريق التجوز وغيره من طرق التأويل؟ هذا لا يمكن ان يقوله احد يفهم معنى النص القطعي. ولا يحتاج اليه من ذهب الى عموم الحكم في آية البقرة فقد يكون كلامهم من باب التفسير بالمراد. وما نقل عن ابن عمر من تأوله الآية وتحريمه للكتابيات لم يوافقه عليه أحد من الصحابة فهو شاذ وله نظائر عنهم (رض) وماهم بمعصومين، وإنما الحجة اجماعهم على امر ديني، ويقرب منه ما ثبت عن جمهورهم ولا عبرة بشذوذ الافراد كقول ابن مسعود (رض) إن المعوذتين ليستا من القرآن مثلا

نعم إننا نعترف بأننا اخطأنا فيما عزوناه الى قتادة من القول بأنه خص

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المشركين والمشركات في آية البقرة بوثنيي العرب فأن الذي روي عنه أنه قال في المشركات « يعني مشركات العرب اللائي ليس لهن كتاب يقرأنه » ولم يقل مثله في المشركين — ولكن التفرقة بين مدلول « المشركات » ومدلول المشركين في آية واحدة تحكم وعدم نقله عنه لا يدل على أنه يقول بالتفرقة — ومسألة الحكم ليست موضوعنا هنا بل لا خلاف فيها بيننا وبين المنتقد

ولم يكن قتادة هو الذي قال هذا وحده ففي الدر المنثور عن سعيد بن جبير في تفسير « ولا تنكحوا المشركات » الآية — قال يعني أهل الاوثان وعن مجاهد: نساء أهل مكة من المشركين : وعن حماد قال سألت ابراهيم (يعني النخعي) عن تزويج اليهودية والنصرانية فقال لا بأس ، قلت أليس الله يقول (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ)؟ قال انما ذاك المجوسيات وأهل الاوثان

وقال أبو بكر الجصاص من أئمة الحنفية في القرن الرابع في كتابه أحكام القرآن ما نصه : « وقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ) غير موجب لتحريم الكتابيات من وجهين — أحدهما — ان ظاهر لفظ المشركات يتناول عبدة الاوثان منهم عند الاطلاق ولا يدخل فيه أهل الكتاب إلا بدلالة ، ألا ترى الى قوله (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) وقال (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين) ففرق بينهم في اللفظ وظاهره يقتضي أن المعطوف غير المعطوف عليه الا أن تقوم الدلالة على شمول الاسم للجميع » اه

وقد قالوا مثل هذا في عهود المشركين والامر بعموم قتالهم في أول سورة براءة وانه نزل في مشركي العرب ولا يشمل أهل الكتاب

وجملة القول ان « لقب المشركين » لا يصح اطلاقه على جميع الكفار لغة ولا شرعا وأن الفرق بين المشركين وأهل الكتاب عظيم جداً: أصول الدين الالهي الاجمالية ثلاثة الايمان بالله والايمان باليوم الآخر والعمل الصالح على الوجه المشروع ابتغاء مرضاة الله وثوابه، كما في آية البقرة ويدخل في التفصيل الايمان بالملائكة والكتب الالهية والرسل (عليهم السلام) وبدار الثواب وبدار العقاب . وأهل الكتاب يؤمنون بهذه الاصول كلها بالاجمال، وأما المشركون فلا يؤمنون بشيء من تلك الاصول ومن آمن منهم بالله أشرك معه غيره من خلقه فجعل له انداداً يزعمون أن من تقرب اليهم يشفعون له عنده فيقضي لهم حاجتهم لاجلهم .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما مادخل على كثير من أهل الكتاب من مثل هذا الشرك وغيره مما ينافي هداية الرسل فقد دخل على المسلمين مثله وصدق عليهم قوله ص) « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا في جحر ضب لسلكتموه » قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري وغيره بالفاظ متفقة في المعنى وهذا لفظ البخاري عنه. وانما نفضلهم بأن كتابنا قد حفظ بلفظه ونقل باللسان والكتابة تواتراً وبأن سنة نبينا (ص) ضبطت ونقلت بالاسانيد المتصلة ، فالرجوع الى أصل الدين ممكن في كل وقت . والاسلام حجة عليهم فمن كفر به بعد بلوغ الدعوة بشرطها لايعتد بايمانه بغيره، كما اننا نكفر من جحد نبوة موسى وعيسى عليهما السلام ولا نعتد باسلامه

لهذا الفرق العظيم بين أهل الكتاب والمشركين خص الله تعالى على أهل الكتاب ببعض الاحكام كاكل طعامهم وصحة ذبائحهم والتزوج منهم وفي هذا وذاك من اسباب المودة معهم ماهو معروف بالبداهة وبالتجربة ، وبما بينه الله تعالى من سنته في الزواج بقوله (ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقال في بعض العاملين بدينهم منهم (ولتجدن أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى. ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لايستكبرون) وأقرهم على دينهم حتى ان بعض الصحابة كانوا قبل الاسلام اعطوا اطفالهم ليهود بني النضير ليربوهم لهم فلما كتب الله عليهم الجلاء ارادوا أن يستردوا اولئك الاولاد وكانوا قد كبروا وتهودوا فانزل الله تعالى في ذلك الوقت (لااكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) فأمرهم النبي (ص) أن يخيروهم ، فمن اختار اليهودية جلا مع اليهود ومن اختار الاسلام بقي مع المسلمين ، ولم يعامل المشركين بشيء من هذا ، بل قال (ص) في بيان العداوة بينهم وبين المسلمين والبعد الشاسع الذي لاتستقيم معه معاشرة «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين» قالوا يارسول الله ولم؟ قال «لاتتراءى ناراهما» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جرير بن عبد الله (رض) ورجال اسناده ثقات ولكنهم صححوا ارساله ورواه الطبراني موصولا . وفي معناه أحاديث اخرى (له بقية)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زيارة ملك الحجاز لشرقي الاردن

﴿ مقدماتها وأسبابها ونتيجتها ﴾

كان الشريف حسين ولا يزال يمني نفسه بملك عظيم تؤسسه له الدولة البريطانية جزاء له على ثورته العربية وموالاته لها في قتال الترك بأن تجعله خليفة للمسلمين وملكا على البلاد العربية المؤلفة من جزيرة العرب كلها والعراق وسورية وفلسطين وتمده بالمال والسلاح لتطيد سلطانه في هذه البلاد تحت حمايتها وبمساعدة رجالها. وكان يعتقد أن حلفها أقوى من الحلف الالماني ولذلك لم يقبل ما عرضته عليه الدولة العثمانية من الاستقلال بضمان المانية . وكان بهتفها بكل فتح في البلاد العربية : القدس و بغداد ودمشق ! ! ولذلك سمى نفسه ملك العرب و بعد احتلال سورية اعتقد أن أحلامه جاء تأويلها ، وكان يشتهي أن يزور البلاد السورية بعد توطيد سلطانه فيها ، وتكرر وعده لاناس من أهلها بذلك وفي جريدته (القبلة) حتى إنه صرح بأن سيزور كل بلد وقرية فيها ، اي ليراه جميع أفراد رعيته ، ويتمتعوا ببهاء جلاله وعزته .

أفلت ملك سورية من قبضة وهمه (اولا) بقرار المؤتمر السوري العام الذي أعلن فيه استقلال جميع البلاد السورية دون الحجاز وغيره (وثانيا) بتنفيذ انكلترة وفرنسة لما كانتا قد اتفقتا عليه من اقتسام بلاد الحضارة العربية سورية والعراق بينهما، ورأى أن ملكه لم يتجاوز امارة الحجاز التي كانت له من قبل الدولة العثمانية على أنها منقوصة الاطراف غير تامة الحدود على ما يدعي — فكان المعقول أن يتناسى ذلك الوعد أو الوعود ويتحول عنها .

ولكن الرجل يحيا حياته السياسية بشيئين (أحدها) نفسي وهو الاماني والاوهام (وثانيهما) عملي وهو الدعاية (البور بغندة) التي لم يحذق من شؤون سياسة هذا العصر غيرها ، وهو قد أوتي غريزة الثبات والاصرار التي هي أعظم الغرائز مساعدة لصاحبها على النجاح اذا هو طلب الامور بأسبابها، وأتاها من أبوابها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أصر على تسمية نفسه بملك العرب وأمكنه بالدعاية أن يحمل بعض أصحاب الجرائد في سورية وغيرهم أن يتبعوا جريدته (القبلة) في تحليته بهذا اللقب و بلقب المنقذ ، وان كان الحق الواقع المشاهد أنه لم ينل بلقب ملك العرب تصرفا ولا سيادة على شبر من أرض العرب لم يكن تحت سيادته قبله ، وأنه لم ينقذ بلدا من بلاد العرب ولا قرية من سيادة أجنبية ولا مهلكة ، فان كان أحد يسمى انتقال البلاد السورية والعراقية بمساعدته من سيادة الدولة العثمانية المؤلفة من الترك والعرب وغيرهم الى سيادة انكلترة وفرنسة إنقاذا فلا أنقذه الله من الذل في الدنيا ولا من العذاب في الآخرة ، على أن هذا الابسال (١) الذي سماه إنقاذا لم يقع الا بترجيح دولة الولايات المتحدة لاحدى كفتي الحرب على الاخرى لا بترجيحه ، ولكن هذه الحقائق لا تمنع الملك حسينا من التلذذ باللقبين كلما رآهما في جريدته (القبلة) وفي بعض الجرائد المأجورة أو المغرورة

وهنالك دعوى أخرى ظاهرة البطلان كظهور كذب اللقبين الضخمين الفخمين ولكنه فاز بتكرار الدعاية واصطناع بعض الجرائد من غش كثير من الناس فيها حتى صاروا يصدقونها كما يصدق الغافلون الاعلانات التجارية التي تنشر في الجرائد زمنا طويلا ولا يبحثون عن مصدرها ليعلموا أنها شهادة من صاحب الدعوى لنفسه .

تلك دعوى قيامه بأمر الوحدة العربية بجمع كلمة العرب وتوحيد قواهم وترقية شؤونهم ، والامر بالضد ، فهو هو المفرق لكلمة العرب والمحدث للشقاق بينه و بينهم ، فانه بتوهم كونه ملكا للعرب وثبوت هذا الخيال في مخه تخيل أيضا أن الوحدة العربية انما تكون أو ستكون بقبول أمراء جزيرة العرب وأئمتها لسيادته السياسية والعسكرية عليهم طوعا أو كرها وتحكيمه في شكل ادارة البلاد ونزع ما شاء منها من أيدي من شاء ليولي عليه من شاء حتى حمله الخيال على مخاطبتهم بذلك كتابة ، فضحكوا ساخرين . وطالما بينا هذا في المنار وفي غيره من الصحف ولكن

(١) أبسله أسلمه للهلاك ومنه قوله تعالى : (وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله من ولي ولا شفيع) الآية وفيها ما فيها من العبرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بيانا لم يحل دون تأثير دعايته المتصلة الدائبة حتى إنه صرح في جريدته (القبلة) تصريحا رسميا بما صدق أقوالنا الماضية لما سأله رئيس مؤتمر الجزيرة الذي هو من أبواق دعايته عن مراده بالوحدة ، ونشرنا تصريحه في المنار والاهرام فقرأه الكثيرون في البلاد السورية كما قرأه آخرون في الجزء الذي صدر من جريدة القبلة في ٩ ربيع الآخر من هذه السنة ، ولم يكن هذا ولا ذاك بصارف للمخدوعين بالدعاية السابقة من طلاب الوحدة العربية أن يظنوا أنه يسعى لها ، وأن يوجهوا وجوههم اليه فيها

فهذه الوقائع زادت الملك حسينا إيمانا وتسليما بأن الدعاية (البور بغنده) تقلب الحقائق فتجعل الحق باطلا والباطل حقا عند الجماهير من الناس ، بل هي كالسحر تخيل الى المسحور أنه يرى بعينيه ما لا حقيقة له في الخارج .

على أنه خاب مرة في دعايته ولم يلبث أن تدارك خيبة وجعلها نسيا منسيا عند كثير من السوريين وخاصة الفلسطينيين منهم

ذلك بأن الدولة البريطانية اختارت أن تعقد معه معاهدة تثبت بها اعترافه بانتدابها على فلسطين وما تريدان يكون لها من الحقوق في الحجاز والتصرف في شؤون الحجاج وتقطع بها لسانه وألسنة الفلسطينيين دون الاحتجاج عليها بما سبق لها معه من اتفاق ووعود . وقد طالت المراجعة بينها وبينه في ذلك ، حتى اذا ما أرسل الدكتور ناجي الاصيل الموصلي الى لندن للبحث معها في صيغة هذه المعاهدة في العام الماضي قامت قيامة الدعاية حوله وامطرت شركة رونر الانكليزية على البلاد العربية وغيرها برقيات خادعة فيما ينتظر من الوحدة العربية واستقلال العرب بسعي الاصيل . . وكانت الجرائد العربية في مصر وسورية والعراق تنشر هذه البرقيات وتعلق بعضها عليها من الشروح ما يكبر شبح الوهم ، وكان بعضها ينشر مقالات مستقلة في ذلك ، ولما عاد الاصيل الى مكة بحمل نص المعاهدة كان له من الحفاوة فيها ما كان ، وتلي نص المعاهدة المترجم بالعربية في حفلة رسمية فخمة واطلقت المدافع وصدرت الارادة الهاشمية بجعل ذلك اليوم عيداً رسميا للامة العربية باسرها . . . ثم ماذا كان ؟ ظهرت الفضيحة للعيان ورفض أهل فلسطين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مايتعلق بهم منها ، واضطر الملك الى عدم الامضاء النهائي عليها

بعد هذه الفضيحة استأنف الملك دعاية جديدة في المسألة الفلسطينية قدم بين يديها مساعدة لاهل فلسطين بما جمعه من الاعانة القهرية لعمارة الحرم الاقصى من أهل الحجاز والاختيارية من الحجاج ، وسمح لوفدمنهم بالطعن في وعد بلفور في الحجاز ، فوضعت خطة جديدة لبث الدعاية له في سورية وفلسطين يقوم بها نفر ممن كان بمكة من حجاج البلاد مع صنائعه فيها تكون تمهيدا لزيارته لاطراف سورية لاجل ان يتقرر في هذه الزيارة مع زعماء البلاد امر الوحدة العربية (١١) وما يتعلق بها من المسألة الفلسطينية . . . بل وجد له دعاة من حجاج المصريين يمدحونه ويدافعون عنه ايضا

ولا ندري هل كوشف أحد من الدعاة الذين كانوا في مكة بمسألة المبايعة بالخلافة أم لا ؟ . ويجزم بعض أذكياء المصريين أن الانكليز كانوا قد اتفقوا مع عصمت باشا على إلغاء الخلافة التركية في زمن لايتأخر عن أول سنة الترك الجديدة (مارس) وأحبوا أن تكون زيارة ملك الحجاز لاطراف سورية قبل ذلك الوقت ، وأن يظل هنالك الى أن تلغى الخلافة التركية فيجعل ذلك سببا لتأسيس الخلافة العربية — كما انهم قرروا أن تجتمع جمعية العراق التأسيسية للنظر في المعاهدة العراقية البريطانية التي أمضاها الملك فيصل والسير برسي كوكس المندوب البريطاني السامي في العراق في الوقت الذي يجتمع فيه المؤتمر البريطاني التركي لحل مشكلة الموصل ووضع الحدود بين العراق والاناضول ليخوفوا العراقيين بالتفريط بولاية الموصل اذا هم رفضوا المعاهدة التي تضيع جميع العراق لاولاية الموصل وحدها .

مهما يكن من الامر في هذا وذاك ، فالدعاية لتشريف الملك قد بثت قبل مجيئه ، وفي أثناء وجوده ، حتى وصلت هينمتها في الحالين الي ، وعرضت شبهاتها وأمانيها علي ، واقترح علي أن أكون من الزائرين له ، وسئلت عما اشترطه في ذلك ، وقنع احذق من كلمني في ذلك بأن اسكت عنه ، ولو ربما تظهر نتيجة مايرجى منه ، وزعموا انه قد اتعظ واعتبر بأغلاطه السابقة . وقال بعضهم : ان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الانكليز قد غيروا سياستهم معه ، وانهم سيمنحون البلاد ما يرضيها على يده ، اذا رأوا ان الامة تؤيده ، (قالوا) فلا تكن من اسباب حرمانها من ذلك . فقلت إني سأصبر في هذه المرة كما صبرت فيما قبلها حين بثت الدعاية لسعي الحبي الاصيل ، وانا لا ارجو لهذه الامة خيرا على يده ، ولا آمن عليها من شر عمله ، فتجربة المجرب تحصيل حاصل ، بل عبث يتنزه عنه العاقل و « المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين » وانما اسكت لاقيم الحجة بعد الحجة عليكم ، واعدكم بأن أبذل جهدي في تأييده اذا كذب ظني وصدق ظنكم ، وان ظل يؤذيني هو واولاده وحليفتهم ، فأنا أعمل لامتي لا لهم ...

هكذا كانت الدعاية تنشر ، وكان من حسن حظ دعاتها أن وقع تنازع بين فرنسة والترك حمل من في سورية من الفرنسيس على الاغماض عن هؤلاء الدعاة لاضعاف ما كان قوي من نفوذهم ، فنجحوا وأوهموا أكثر أهل البلاد الغافلين بأن السعادة للعرب ستتم بتشريف ملكهم الى ضواحي سورية

تحرك الركاب الهاشمي — كما يقولون — متنقلا في البلاد الحجازية الى أن وصل الى شرق الاردن ، وهو يقابل في كل مكان بالحفاوة والتكريم والدعوات والخطب والقصائد ، وجرائد مسلمي سورية تحلق في فضاء الخيال ، وتصور فيه ما تصور من الاماني لا الآمال ، وأرسلت المكاتبين الى شرقي الاردن ليحصوا لها ما يكون هنالك من عظمة (ملك العرب ومعقدهم) وما يقرره المؤتمر العربي الذي زعموا أن سيعقده من وفود الاحزاب وزعماء البلاد ، تنجيزا للوعود التي بشرهم بها الدعاة

وقد أعد الوجهاء ولجان الاحزاب المختلفة عدتهم للقاء الملك وعرض مطالبهم القومية على مسامعه ، بناء على ما صدر به الوعد من أنه يريد أن يعمل في هذه المرة بالشورى (خلافا لعادته) وكان أحسن ما قرروه — لو صادف محله — أن يتفقوا على برنامج عام لمصلحة العرب العامة يكتبونه ويوقعه مندوبون من كل حزب ويرفعونه اليه — وأن يكون ما يعرضه بعضهم من الاقتراحات الموضعية الخاصة غير معارض لهذه المطالب العامة — وقد فعلوا — وعلى التواطؤ أن يكاشفوه متفقين بما يشكون من سوء سيرة نجله الامير عبد الله في أقواله وأفعاله المنافية للمصالح الوطنية العربية ، والمؤيدة للسلطة الاجنبية — وقد فعلوا كما أخبرنا الرواة عنهم — ثم كان ماذا ؟ ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان أن شغلت جرائد سورية وفلسطين عدة أشهر بأخبار الوفود ووصف الاحتفالات والسمط (أو السماطات) ونشر القصائد والوعود وحكايات الاقوال والمفاخر الهاشمية، حتى اذا ازدوجت المخيلات بالواهمات، ولقحت بالاماني المستمذبات، جاءها المخاض بسقوط الخلافة التركية، فأجهضت فوضعت الخلافة العربية، فالتقطها «ملك العرب الخيالي» سقطا لم يستهل، ومضغة لم تكتمل، معتقدا ان الدعاية (البورغندة) تتم خلقها، وتنفخ الروح فيها، كما فعلت بمنصب «ملك البلاد العربية» قبلها (؟؟) ويكفي في هذه الحياة عنده أن يبث لها دعاية جديدة بين حجاج الآفاق، ويستعين بها في الجزيرة على بث الشقاق، وأن تقول جريدة القبلة بمكة، وجريدة الشرق العربي الرسمية في عمان، وجرائد الطبل والزمر ولسان العرب بفلسطين، وجريدة الحقيقة ببيروت، وأمثالهن من جرائد سورية والعراق: ان صاحب الجلالة الهاشمية، هو خليفة المسلمين، وأمير المؤمنين، وملك العرب أجمعين؟ بل يقدر الملك حسين ودعاته ان يستأجروا في مصر وغيرها امثال هذه الجرائد لذلك

حمل الرجل اللقب وانقلب الى بلده مسروراً، وظل الامير عبدالله حيث كان، بالرغم من أنوف السكان والجيران، وصارت إمارته شرا مما كانت وأبعد عن الاستقلال، واشتد ضغط الفرنسيس على المسلمين الذين بايعوه، فاعتقل افراد من الوجهاء واخرج آخرون، ونفر دعاته اصحاب جريدة الحقيقة هاربين من بيروت، وازدادت المسألة العربية بعدا عن الوحدة بفشل مؤتمر الكويت الذي كان سببه اقتراحات (منقذ العرب ومؤسس وحدتهم) واقتراحات والده الامير عبد الله التي أملاها الغرور بالاتكال على الانكليز في تمليكهم لنجد وغيرها من الجزيرة، وما كان لهذا الشقاق من سبب، الا الغرور بلقب ملك العرب، فكيف وقد ضم لقب الخليفة الاعظم وأمير المؤمنين، الى لقب ملك العرب أجمعين؟ دع الغرور بلقب الشريف، الذي يدعي هو ودعاته أنه هو المؤهل للملك والخلافة ولكن له ولاولاده دون سائر شرفاء الامة!!

إننا لنقول والحزن يملأ قلوبنا: ان الترك قد فضحوا العالم الاسلامي بما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فعلوا بخلافتهم شرا مما فضح به الملك حسين بمبايعته الاولى والثانية ؟ اذ ظهر للافرنج أن مبايعة الملايين لرجل بالخلافة ليس الا كلاما لغوا لا يترتب عليه عمل يذكر، وقد أدرك الانكليز ذلك قبل غيرهم فلم يبالوا بمبايعة الجماهير من مسلمي مصر والهند لخليفة تركي، ولا مبايعة أهل فلسطين لخليفة عربي، وقد عد العقلاء منهم ومن غيرهم اهتمام فرنسة بمبايعة مسلمي سورية رعونة وخفة من رجالها هنالك، ولو كانت انكلترة تعتقد أن هذه البيعات حقيقية، يترتب عليها ما في كتب الشرع من الاحكام الشرعية، لبذلت كل نفوذها في إبطالها، ولما تجرأ الملك حسين حينئذ على التصدي لها، فان أول ما يترتب عليها قتاله اياها في فلسطين لاخراجها منها، وهي الآن ترجو أن تنتفع من الخلافة الحجازية حتى بتوطيد نفوذها فيها، على ان يكون للخليفة وأولاده شركة في ذلك

ولما طفقت السلطة الفرنسية في سورية تعارض مسلميها في المبايعة لحسين والدعاء له في خطبة الجمعة احتجوا عليها بأنها تمنعهم من حريتهم الدينية المحضة وذلك أنهم عالمون بأنهم لم يكونوا بهذه المبايعة تابعين له في السياسة ولا الادارة ولا الحرب ولا القضاء. ونحن نزيد على ذلك انهم غير تابعين له في صلاتهم ولا صيامهم ولا زكاتهم، حتى ما هو من شأن الخليفة من ذلك كتعيين الائمة والخطباء للصلاة واخذ مال الزكاة. واما الدعاء للخلفاء في خطبة الجمعة فليس من أركانها ولا من شروط صحتها، فلم يبق لفرنسة عذر في معارضة القوم في مبايعتهم، ولا في الدعاء له في خطبهم، وما تكرهه من قوة نفوذه الروحي بذلك فالمعارضة لهم أشد تأثيرا في زيادته

ومما يؤيد قولنا في رأي مسلمي سورية في الخلافة انها أمر ديني لا علاقة له بالسياسة ما يقوله ويكتبه بعض المصريين في ذلك بعد ان كان من مبايعتهم لعبد المجيد أفندي ما كان، ثم من اقتراح بعضهم دعوته للاقامة بمصر، فأنصاره يعدون معارضة الحكومة المصرية لهم في الدعوة له اضطهادا للحرية الدينية، ولو كانوا يفهمون معناها الشرعي ويريدونه لعلموا ان عملهم يقتضي اسقاط الحكومة المصرية وجعلها تابعة لعبد المجيد افندي !!! وهل هذا الا أساس السياسة الذي تبني عليه جميع أركانها ؟

انني مضطر الى اظهار الحق عريانا في هذه المسألة كما فعلت في مسائل كثيرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم اخف في الله لومة لائم ، حتى ان شيخنا الاستاذ الامام كان اول من وصفني بهذا وانتقده علي في بعض المسائل وما ابرزته عريانا في مسألة الا بعد ان عرضته مزينا بالحلي والحلل ، فلم يعرفه ممن عرضته عليهم احد ، فأقول :

انه لا خوف على سلطة فرنسة في سورية من مبايعة هذا الرجل الا اذا استعمله الانكليز في مقاومتها ، ما دام الفرنسيس متكافلين مع الانكليز فيما اعتدوا به علينا باسم الانتداب فلا خوف منه ، فان تحرش هو واولاده بهم ، فانما يفعلون ذلك لجر مغنم يريدونه منهم ، ولا يجهل الفرنسيس انهم يبيعون العرب والاسلام بلقب ملك او سلطان ، وقد جربوا فيصلا من قبل عبد الله في ذلك ورأوا تجربة الانكليز من قبلهم . على اننا نحمد الله تعالى ان بغض هذا الاسرة التي رزئت بها الامة العربية الى الفرنسيس فلم يقبلوا إبقاء فيصل في سورية لاخضاعها لهم وفاء باتفاقه مع كليمنصو بعد اسقاطهم لحكومتها الاستقلالية ، وتوطين نفسه على أن يبقى ملكا في ظل الانتداب الذي قبله أولا وآخرا ، ثم لم يقبلوا استخدام أخيه عبد الله بمثل ذلك وقد بذل شرفه وكرامته في السعي له ، نحمد الله على ذلك لان اكثر مسلمي سورية لا يزالون يخدعون بلقب شريف ، ولم يطل خداع الشيعة في العراق به كما طال خداعهم . ولو كان سائر المسلمين كذلك لوجب على عقلاء طلاب الاصلاح واعادة مجد الاسلام ان يقرروا حرمان كل من يحمل هذا اللقب من كل رياسة في هذه الامة ، ولا سيما اذا كان مفتونا به كشرفاء مكة ، أقول هذا وانا شريف مقابل

أما والله لو كنت اعلم انه يرجى منهم اخراج فرنسة من سورية على ان تكون مستقلة دون نفوذ اجنبي آخر ولو تابعة للحجاز لبذلت كل ما استطيع في تأييدهم ومساعدتهم على ذلك بدلا من مجاهدتهم على تمكين نفوذ الاجانب فيها وفي غيرها ، فانني أعلم أن ملك الحجاز لا يستطيع أن يستبد في سورية ، ولا أن يحول دون حريتها

ووالله لو كنت اعلم انهم يستطيعون جعل جزيرة العرب وغيرها مملكة واحدة خاضعة لهم وحدهم بدون نفوذ اجنبي لتمنيت نجاحهم على ما اعلم من ظلمهم واستبدادهم ، لاعتقادي انهم لا يستطيعون الاستبداد بهذه الامة بعد جمع كلمتها وتوحيد حكومتها ، وان المصلحة في ذلك أرجح من المفسدة في كثرة الحكومات المتعادية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم والله لو كنت اعلم انه يرجى من حسين جمع كلمة المسلمين كلهم او اكثرهم او عدة شعوب منهم باسم الخلافة على الحق والاصلاح لوددت تقمصه إياها، ولو نهض بها كما يجب لبذلت وسعي في تأييده، وان كنت اعلم انه فاقد لسائر شروطها. وحسبي هذا منها لو حصل ولكنني أعتقد أنه يخشى ضره، ولا يرجى نفعه. وقد بينت هذا بالبراهين الكثيرة ولم اره أجاب عن شيء منها في جريدته جوابا معقولا ولا غير معقول، ولا اجاب عنها أحد من أنصاره، وانما سبوني تبعا له وشتموني، وادعوا انني ناقضت نفسي بأن مدحته ثم ذممته، وأيدته ثم خذلته، وان لي هوى في ذلك، وليس هذا من الرد على براهيني بشيء. فان صح قولهم الاول فما هو من التناقض المنطقي الذي يبطل به الدليل، لان من شروطه اتحاد الزمان والموضوع وغير ذلك من « الوحدات الثمان ». وان صح الثاني فحسابي فيه على الله تعالى ويبقى عليهم أن يبطلوا براهيني في الطعن في سياسته وبيان ضررها. وكثر ما قلت لمن كلمني من أنصاره ولا أزال أقول أقنعوني ببطلان ما أثبته ولكم علي أن أرجع عنه وأخطيء نفسي، فلم يقدروا، كما عاهدتهم بأن أنصرهم اذا هم رجعوا الى الصواب الذي قام عليه البرهان عندي وعند جميع من أعرفه من العقلاء حتى ممن يرجون الخير منهم أو يدعونه لهم، ولا أريد على ذلك جزاء ولا شكورا

اننا قرأنا ما فيه العبرة من احداث التاريخ ولا سيما تاريخ الاستعمار للبلاد الشرقية عامة والاسلامية خاصة ورأينا كيف ضرب المستعمرون بعض أمرائها وملوكها ببعض، وهكذا يفعلون اليوم في جزيرة العرب، وأخشى ان تكون هذه الخلافة الباطلة من شر آلاتهم في ذلك فيجب علي أن أنكر هذا المنكر العظيم ويحرم علي أن أسكت عنه، لكيلا أكون شريكا لهم في اثمه

ان الدولة البريطانية لم تستهن بأمر (الملك حسين) في السنين الاخيرة الا لانها رأت انه لم يبق له شيء من النفوذ يمكن أن تستفيد منه، وهي الدولة العريقة في التجارة بالسياسة، وكان أول غرض له من زيارة أطراف سورية وما بذله في سبيلها ان يربها نفوذه فيها، ويستأنف العمل معه وأرضاءه بعد هذه المبايعة، فان الخلافة بضاعة ثمينة قد طفقت تجرب نفوذ اسمها في الشافعية من أهل تهامة اليمن وحضرموت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد أن فشلت فيما كانت تسعى اليه منذ هدنة الحرب العظمى من عقد اتفاق مع الامام يحيى حميد الدين يجعل له من الحقوق والامتيازات في بلاده المستقلة مايكون بابا للتدخل في شؤونها ، والعبث باستقلالها، فخاب سعيها، وعاد مندوبها (الكولونيل جاكوب) من روضة صنعاء بخفي حنين ، وسنعود الى هذه المسألة بعد تمحيص ماجاءنا من أخبارها

وغرضنا الآن أن نثبت أن اخواننا في فلسطين وسورية قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، ولم يصغوا الى نصيحة الناصح الأمين انخداعا بالدعاية الحجازية، فبايعوا حسينا بالخلافة بدون أن يقيدوه بقيد ما يصلح به ما أفسده من قبل ، كما ذكرناهم في المقال الذي نشرناه في الاهرام

بل اعطوه سلاحا يزيده قوة في عداوة جيرانه ائمة الجزيرة العربية المستقلين المسلحين ، وهي الدعوة الى الشقاق والفتن باسم امير المؤمنين . فالحكم الشرعي أن من صحت إمامته وجبت طاعته في قتال من شذ عن جماعته المفروض انهم اهل الحل والعقد في الامة واولو الامر منها، فاذا امكنه بالدعاية والدنانير الانكليزية ان يجعل هذا الهزل جدا، وهذا الباطل حقا، وعجز معشر العلماء الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم أن يظهروا الحق للناس — فلا يخشى ان يقضي بخلافته الباطلة، على ماللعرب من هذه القوة الباقية، فيتغلغل الاجانب فيما بقي من الجزيرة المقدسة التي احاطوا بها بمساعدته ومساعدة ولديه عبدالله وفيصل من الشمال والشرق، كما يحيط بها البحر من الجنوب والغرب؟ فما لاخواننا هؤلاء لا يتفكرون، ويرون العبر بأبصارهم ولا يعتبرون

اما كان يجب عليهم أن يتروا في درس هذه المسألة ، وأن يقترحوا على الرجل اقتراحات يجعلون تنفيذها شرطا مقدما على عقد البيعة، ان قنعوا بعد التروي بترجيح مبايعته؟ بلى واهم ما كان يجب عليهم اخذ الميثاق عليه فيه وانتظار تنفيذه — الامور الآتية:

(١) نبذ الحماية البريطانية التي تقيد بها فيما يسميه مقررات النهضة، وعدم تقييد البلاد بمعاهدة أخرى تجعل للاجانب نفوذا في البلاد

(٢) الاعتراف بالحالة الحاضرة في إمارات بلاد العرب وإلغاء ماصرح به لرئيس مؤتمر الجزيرة من عقده العزم على جعل جميع أمارات الجزيرة من نجد واليمن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتهامة تابعة لحكومة ملك العرب في السياسة الخارجية والعسكرية والادارة العامة .. الخ

(٣) السعي لعقد محالفة بين هذه الامارات كلها يتقرر فيها اتفاق الجميع على الدفاع عن جزيرة العرب والتعاون فيما بينهم على عمرانها ، وعقد مجلس تحكيم للفصل في كل نزاع يقع بينهم ، وتفصيل ذلك باتفاق يوقعه الجميع وقد سبق لنا تفصيله

(٤) السعي لجعل بلاد الحجاز قطر سلام وحياد لا يعادي ولا يعادى ولا يقاتل ولا يقاتل ، وأن تعترف بذلك الدول الاسلامية وغيرها

(٥) وضع نظام للخلافة يعلم كل مطلع عليه أن الخليفة لا يمكنه أن يستبد في عمل من الاعمال وانه يرجى أن ينفذ لعقلاء الامة وحكمائها ما يطلبون لها من الاصلاح ، وغير ذلك مما ذكرناه بعضه في كتاب (الخلافة) ولا محل للخوض فيه هنا

وانهم سيقرءون في باب الفتوى من (ج٤) ان مبايعة هذا الرجل بالامامة العظمى باطلة شرعا من بضعة وجوه ، وانها على بطلانها شرعا ، ضارة قطعا ، وإن اكبر عار وخزي على امتنا ان توجد فيها كل هذه المهلكات ولا يتصدى احد لانكارها والتحذير منها ، ولا يحسبن أحد أننا علمنا الاجانب بما كتبنا ما لم يكونوا يعلمون ، وياليت الذي يظنون ذلك يعلمون ما يعلمه الاجانب من أحكام الخلافة وأحوال المسلمين فيها . اننا نعلم أن الانكليز قد استكتبوا في سنة ١٩١٤ كثيراً من علماء الاقطار الاسلامية هذه الاحكام والفوا لجنة أو لجانا لدرسها وقد اطلعت مرة على نصوص فيما كتبها لهم بعض كبار علماء الازهر ولا أدري من طلب لهم ذلك

هذا وانا نطالب من يزعم ان ما كتبناه خطأ من الجهة الشرعية أو الجهة السياسية الدائرة على مصلحة العرب والمسلمين أن يبين لنا ذلك بابطال أدلتنا واقامة أدلة اخرى على صحة خلافة الرجل وعلى فائدتها وكونها غير معارضة بمفسدة تقدم عليها فان فيمن بايعوه افرادا من أصدقائنا وغيرهم نجلهم ونحترمهم ، إما لعلمهم واخلاقهم ، وإما لوطنيتهم ، ولكننا نقول إنهم قد اخطأوا في مبايعة حسين كما أخطأ امثالهم من علماء مصر في مبايعة عبد المجيد ، أو في القول بصحة خلافته ووجوب طاعته على أهل مصر وغيرهم ، ونحن مستعدون لمناظرة الفريقين ، في موضوع الفتوى التي بينا فيها بطلان البيعتين ، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)